هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

٧

اللسانيات العربية

Allisaniyat Al Arabiyah

مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز الملك
عبدالله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية
العدد ٥ رمضان ١٤٣٨هـ يونيو ٢٠١٧م

- اللغة بين التفسير الوظيفي والتفسير الشكلي

- المجاز المرسل: محاولة لفهم منزلته في اللّسانيّات العرفانيّة

- الخطاب اللغوي في التواصل الشبكي التغريد (*Twitter*): خصائصه اللغوية ووظائفه التداولية

- اعتراضات المستشرق أ. شفتيل على تقسيم المستشرق ج. بلاو لتاريخ اللغة العربية

- المفعول به المتروك وأَثَرُ تَرْكِهِ في معاني بعض الأفعال في القرآن الكريم

- مراجعة نقدية لكتاب (نظريات علم الدلالة المعجمي)

هيئة التحرير:

أ.د عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي

رئيس التحرير

د. ناصر بن عبدالله الغالي

مدير التحرير

أ.د. عبدالرّحمن بن حسن العارف

عضو هيئة التحرير

أ.د محي الدين محسب

عضو هيئة التحرير

د. محمد لطفي الزليطني

عضو هيئة التحرير

د. عبدالعزيز بن عبدالله المهيوبي

أمين المجلة

الهيئة الاستشارية

أ.د. ابراهيم بن مراد (تونس).

أ.د. بسام بركة (لبنان).

أ.د. سعد مصلوح (مصر).

أ.د. عبدالقادر الفاسي الفهري (المغرب).

أ.د. علي القاسمي (العراق).

أ.د. محمد صلاح الدين الشريف (تونس).

أ.د. محمد غاليم (المغرب).

أ.د. محمود إسماعيل صالح (السعودية).

أ.د. محمود فهمي حجازي (مصر).

أ.د. نهاد الموسى (الأردن).

أ.د. يوسف الخليفة أبو بكر (السودان).

اللسانيات العربية

Al Lisaniyat Al Arabiyah

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد الخامس - رمضان ١٤٣٨هـ - يونيو ٢٠١٧ م

الإسهامات

ترسل البحوث باسم رئيس التحرير

ص.ب ٢٩٨٨ الرياض ١٨٤٥٢

المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٧٢١٥٦٩٨ – فاكس ٤٧٥٢٣٦٩

www.kaica.org.sa

للاشتراكات السنوية

مراسلة بريد المجلة

arabiclisa@kaica.org.sa

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

محتويات

6

اللغة بين التفسير الوظيفي والتفسير الشكلي

د. محمد وحيدي

34

المجاز المرسل: محاولة لفهم منزلته في اللّسانيّات العرفانيّة

صابر الحباشة

84

الخطاب اللغوي في التواصل الشبكي التغريد (Twitter): خصائصه اللغوية ووظائفه التداولية

جنان التميمي

122

اعتراضات المستشرق أ. شفتيل على تقسيم المستشرق ج. بلاو لتاريخ اللغة العربية

جدامي، عبد المنعم السيد أحمد

163

المفعول به المتروك وأَثَرُ تَرْكِهِ في معاني بعض الأفعال في القرآن الكريم

د. حمدي بدر الدين إبراهيم

216

مراجعة نقدية لكتاب (نظريات علم الدلالة المعجمي)

مجموعة باحثين

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

اعتراضات المستشرق أ. شفتيل على تقسيم المستشرق ج. بلاو لتاريخ اللغة العربية

جدامي، عبد المنعم السيد أحمد

ملخص[١]

يتناول البحث اعتراضات المستشرق/ المستعرب البريطاني أ. شفتيل (Shivtel، Avihai.) على تقسيم المستشرق ج. بلاو (Blau،J.) لتاريخ اللغة العربية. فقد قَسّم بلاو تاريخ اللغة العربية تقسيماً قريباً لما هو موجود عند عدد كبير من المستشرقين مثل فوك، وقريب من الرؤية العربية القديمة لهذا التاريخ. قد قسّم بلاو العربية إلى مراحل بدأت من العربية القديمة ثم مرحلة ما قبل الفصحى، ثم الفصحى، ثم العربية المولدة، ومنها العربية الوسيطة بتنوعاتها المختلفة، ثم اللهجات العربية الحديثة، والعربية النموذجية الحديثة. ويعترض شفتيل على هذا التقسيم، ويراه متاهة للعربية. ويرى أنَّ بلاو قد أهمل الوضع الحالي للغة العربية، ولم يستفد منه في رؤيته لتاريخها. ويتصور أنَّ العربية في كلِّ مراحلها عرفت منذ ظهور الفصحى على الأقل- ثلاثة أنواع: الفصحى، والعربية النموذجية، أي العربية الوسيطة المكتوبة أو المنطوقة لدى متحدثي اللهجات المختلفة، والعامية. وقد حلَّلت الرؤيتين ووضحت سمات كلٍّ منهما، ونقاط الضعف في كلٍّ واحدة.

يهدف هذا البحث إلى غاية علمية مزدوجة، وهي محاولة تقديم نموذج لما توصل إليه الباحثون الغربيون/ المستشرقون في مجال ظلَّ مناط اهتمامهم، وهو التأريخ للغة العربية، كما يهدف إلى مناقشة آرائهم وفرضياتهم، سعياً للوصول إلى حد المشاركة في هذا المجال، علماً بأنَّ هذا المجال مازالت بحوثه قليلة. والحقيقة أنَّ ثمة اختلافاً كبيراً لدى الباحثين في تاريخ العربية حول مراحلها، بل حول مفهوم الفصحى[٢] وبدايات العربية المولدة[٣]، والعربية الوسيطة.[٤] ورغم وجود دراسات حول تاريخ اللغة

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

العربية فإنَّنا نلاحظ أمرين مهمين: أولهما: أنَّ كلَّ هذه الدراسات- إلَّا ما ندر- هي من عمل مستشرقين، والآخر: أنَّ هذه الدراسات قليلة، وربَّما يرجع ذلك لظروف البحث في تاريخ اللغات وما يحتاجه من أدوات بحثية وجهود مضنية وصعبة، وسيكون تقسيم البحث كالآتي:

أولاً: تصور ج. بلاو لتاريخ اللغة العربية.

ثانياً: ذكر اعتراضات شفتيل على تقسيم بلاو لتاريخ اللغة العربية.

ثالثاً: تحليل شفتيل لتقسيم بلاو لتاريخ اللغة العربية.

أولاً: تصور ج. بلاو لتاريخ اللغة العربية

تعددت بحوث بلاو[٥] حول تاريخ اللغة العربية، وسأحاول توضيح رؤيته لهذا التاريخ من خلال عدد من بحوثه. أوَّل هذه البحوث صدر له بعنوان:

*The Importance of Middle Arabic for the Understanding of the History of Neo- Arabic.

(أهمية العربية الوسيطة لفهم تاريخ العربية المولدة). ويذكر فيه أنَّه يمكن تقسيم التاريخ اللغوي للعربية إلى مرحلتين:

١- العربية القديمة (Old Arabic) وتتميز بميل نحو النوع التأليفي (Synthetic) الموسوم بعدد من الوحدات الصرفية المقيدة، ومنها النهايات الإعرابية التي مازالت موجودة في الفصحى[٦].

٢- العربية المولدة (Neo–Arabic) وتتميز بميلها إلى النوع التحليلي (Analytic) الذي يشتمل على عدد قليل من الوحدات الصرفية المقيدة، وليس فيه نهايات إعرابية، وهذا النوع تنتسب إليه اللهجات العربية المولدة[٧].

وقد ظهرت العربية المولدة - حسب الأستاذ بلاو- في أواخر القرن الأوَّل الهجري. والثغرة الموجودة بين العربية القديمة والعربية المولدةيمكن صنع جسر لها من خلال المادة اللغوية المبكرة، وهي موجودة فيما سماه بالعربية الوسيطة، ذلك التنوع الذي كُتبت به نصوص تحتوي على سمات لغوية تنتمي إلى العربية الكلاسيكية (الفصحى وما بعد الكلاسيكية) وسمات من العربية المولدة، وملامح ذات تصحيح زائف[٨]، ويتنوع حجم هذه العناصر من نص إلى آخر.[٩]

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

وكان بلاو قد ذكر[١٠] أنَّ العرب قبل الإسلام كانوا يعيشون في عزلة تامة عن العالم الخارجي، ويتجولون من مكان إلى آخر في شبه الجزيرة العربية، سعياً وراء العيش، وهذا الانعزال- حسب بلاو- يقدم تفسيراً لظهور الملامح والسمات الأثرية القديمة داخل اللغة العربية بشكل كبير إذا ما قورنت باللغات السامية الأخرى، كالكنعانية والآرامية، رغم ظهور اللغة العربية بعد هذه اللغات بمئات السنين، فالانعزال التام عن التأثيرات الخارجية جعل العرب يعيشون في الظروف البدائية نفسها التي كان يعيشها أجدادهم، ومن ثَمَّ حافظوا على البنيان الأثري للغتهم بسبب غياب أيِّ انقلاب مؤثر يمكنه إحداث تغيير جذريوسريع.[١١]

ويذكر بلاو أنَّ العرب في الجاهلية كانوا يتحدثون- حسب ما تشير المصادر العربية- بلهجات مختلفة، وهذه اللهجات تنقسم إلى مجموعة لهجات شرقية توجد في منطقة الخليج العربي، ومجموعة لهجات غربية تضمّ لهجات الحجاز. وبالإضافة إلى هذه اللهجات فقد أنتج العرب لغة شعرية، وهي التي يشار إليها باللغة الكلاسيكية، ويكفي أن نقول- حسب بلاو- إنَّ هذه اللغة الكلاسيكية / الفصحى كانت حتى بداية القرن السادس بمثابة لغة قبلية راقية تستوعب مفردات لغوية وسمات صوتية وصرفية وتركيبية لعدة لهجات قبلية، لكنَّنا لا ينبغي أن نبالغ في تقدير حجم الفرق بين هذه اللهجات القبلية وهذه اللغة العربية الكلاسيكية / الفصحى، فكلٌّ منها له الطابع الجمالي نفسه في التعبير عن المعاني الكثيرة بلفظ واحد، وله كذلك النظام التصريفي نفسه، لذا كان من السهل الانتقال من إحداهما إلى الأخرى[١٢].

وإذا كان ابن خلدون يرى أنَّ الاحتكاك بغير العرب أفسد العربية، فإنَّ بلاو يرى أنَّ الفتوحات العربية الكبيرة غيرت البناء اللغوي للعربية بشكل كامل، فقد امتزجت لهجات القبائل المختلفة، وتجمعت في تكوين هذه اللهجة ذات السيادة والهيمنة على باقي اللهجات، كما يرى بلاو أنَّ هناك عاملاً حاسماً آخر هو اتصال العرب بالشعوب الأخرى ذات الثقافات الأكثر تقدماً، في مدن كالبصرة والكوفة، وبدأ عدد كبير من سكان هذه البلاد في تعلم العربية والتحدث بها، ولكن بشكل غير صحيح، باستثناء الخاصة منهم.[١٣] وكانت النتيجة - حسب بلاو- انحرافات لغوية في صيغ العربية القديمة، ولم تكن هذه الانحرافات مقصورة على تغيرات عارضة، ولكنَّها أحدثت تأثيراً بالغاً في الأصول والبنية الأساسية للغة العربية، إذ وجد

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الأجانب صعوبات كثيرة في التحدث بالعربية، وكان نتيجة ذلك أن قاموا بإسقاط النهايات الإعرابية ولجأوا إلى استخدام أساليب معروفة لديهم(١٤).

إنَّ حذف العلامات الإعرابية - حسب بلاو- أحد التغيرات التي أثرت في العربية القديمة لتحويلها إلى عربية وسيطة، وتدل الوثائق التي عُثر عليها الآن على أنَّ العربية الوسيطة كانت تحمل بداخلها كلَّ الخواص البنيوية التي تميز اللهجات العربية الموجودة آنذاك، ويذكر كذلك أنَّه لولا عدة اعتبارات لغوية إضافية لأمكننا أن نترك مصطلح العربية الوسيطة ونتحدث فقط عن العربية المولدة.(١٥) ومن هذه الاعتبارات أنَّ العربية الوسيطة نُقلت لنا من نصوص أدبية اختلطت فيها العناصر الفصحى بالمولدة، إلَّا أنَّ لها أهميتها الثقافية، فى حين أنَّ العربية المولدة تحظى بدور ثقافي أقل، ولم تقدم أدباً حقيقياً، بالإضافة إلى أنَّ طريقة البحث في الدراسات اللغوية الخاصة بالعربية الوسيطة والعربية المولدة مختلفة، وهي عربية تدرس من خلال النصوص التي كتبت بها وفيها عناصر كلاسيكية وأخرى مولدة، أمَّا اللهجات المولدة فتدرس بكل سهولة من خلال الحياة اليومية.(١٦)

ظهرت العربية الوسيطة (١٧) التي انتشرت بين سكان المدن الأصليين - حسب بلاو- في نهاية القرن الأوَّل الهجري، لأنَّ تحديد تاريخ هذا التطور مسألة غير واضحة تماماً، إلَّا أنَّ هناك رؤية ترى بداية هذا الطور- أي طور العربية المولدة- منذ سنة ٨٧ هـ، وذلك بناء على اكتشاف بردية مكتوبة بلغةكلاسيكية/ فصيحة، إلَّا أنَّ ناسخي هذه البردية من أصل غير عربي، لذا فإن فيها انحرافات عن الفصحى، وهذا يوضح لنا السمات الرئيسة للعربية الوسيطة، ويذكر بلاو أنَّنا يمكن مطالعة العربية الوسيطة بشكل واضح في أوَّل نص عربي مسيحي تم العثور عليه، وهذا النص رغم عدم تحديد تاريخه يرجع إلى نهاية القرن الثامن، وهو نص مكتوب باللغتين العربية واليونانية، وتم العثور عليه في المسجد الأموي بدمشق، والجزء العربي من النص يبيّن غياب النهايات الإعرابية.(١٨)

ويشير بلاو إلى أنَّنا يمكن أن نستنتج أنّ ظهور العربية الوسيطة كان في المدن إبّان الفتوحات الإسلامية، وذلك من خلال التحليل اللغوي للبردية، والنصوص العربية المسيحية أيضاً التي ربَّما ترجع إلى القرن الثامن الميلادي،(١٩) وأنَّ العربية الوسيطة يبدو أنَّها انتشرت في الطبقات الدنيا أولاً ثم في الطبقات العليا داخل المجتمع المدني،

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

كان هذا في فترة قصيرة، ومنذ بداية القرن الثامن بدأ زحف العربية الوسيطة حتى وصل إلى الوثائق الرسمية، ويوضح هذا أنَّها انتشرت حتى بين الطبقة الحاكمة.[٢٠]

وثاني هذه البحوث نشر في عام ١٩٦٩م تحت عنوان:

(*) L'apparition du type linguistique Néo – Arabic

(وترجمته: ظهور النوع اللغوي للعربية المولدة).

يقرر بلاو في هذا البحث أنَّ ظهور العربية الوسيطة كان في بداية القرن الثامن الميلاد، وقد أخذت اللهجات المولدة في الظهور في مدن الإمبراطورية العربية الجديدة، لكنَّ لهجات البدو في القرون الأولى للإسلام احتفظت بالعناصر الأساسية (يقصد العناصر القديمة)، لكنَّها تأثرت بالهجرات التي وضعت العشائر/ القبائل في احتكاك فيما بينها (بخاصة في المعسكرات الحربية)، لكنَّ هذه اللهجات البدوية احتفظت ببنية تنتمي إلى النوع التأليفي الذي ينتمي إلى العربية القديمة، وظلت كذلك تنتسب إلى العربية الكلاسيكية على عكس اللهجات الحضرية التي تنتسب إلى الوسيطة ذات البنية الأكثر تحليلية (Analytique).[٢١] وعلى أيَّة حال فقد حدث في هذه الفترة – حسب زعم بلاو– انقسام مميز بين اللهجات الحضرية التي يصفها بالتحليلية من جهة، والعربية الكلاسيكية واللهجات البدوية من جهة أخري.[٢٢]

وقد حدث هذا– حسب اعتقاد بلاو– في القرن الثامن الميلادي، ويزعم أنَّ فرضية المستشرق الألماني فوك صحيحة، تلك الفرضية التي يزعم فيها أنَّ التغيرات اللغوية الكبيرة التي أثَّرت في العربية الكلاسيكية ظهرت إبّان الفتوحات الإسلامية التي أحدثت تغيرات اجتماعية مهمة بشكل قاطع على الوضع اللغوي العربي داخل المدن الجديدة من الإمبراطورية الجديدة (حسب وصفه) عن طريق الاحتكاك ما بين العرب والشعوب الأجنبية التي كانت أعلى ثقافة – حسب زعمه[٢٣]– فبدأ عدد متزايد من مواطني البلاد المفتوحة في تعلم العربية، ولكن تحدثوها بشكل غير صحيح ماعدا أفراد الطبقات العليا؛ فقد ظهرت في كلام هؤلاء عيوب صوتية وتركيبية، وأهملوا الإعراب، وكذلك البنية الصرفية، ومن ثمَّ وُلد في المدن الجديدة ذلك النوع من العربية الذي سموه بالنمط المولد[٢٤].

بحث بلاو القضية بشكل جديد في بحث صدر عام ١٩٨٦م بعنوان:

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

(*) The Jahiliyya and the Emergence of the Neo – Arabic Lingual Type.

(وترجمته: الجاهلية وبداية النوع اللغوي العربي المولد). يقرر بلاو في هذا البحث أنَّ العربية المولدة قدمت نوعاً جديداً من العربية أكثر تحليلية مقارنة باللغة العربية القديمة ذات النوع اللغوي التأليفي (Synthetic)، وكانت هذه اللغة المولدة نتيجة طبيعية، فبدايتها ترجع إلى نزعة عامة؛ حيث إنَّه منذ مئات السنين قد تحلَّلت اللغات السامية (الشقيقة للعربية)، وهي: الأكادية والكنعانية والآرامية، وطوَّرت هذه اللغات صيغها القديمة في مراحلها اللغوية، التي تشبه نوعياً التطور الذى حدث للعربية من العربية القديمة إلى المولدة.[٢٥] ثم يقدم بلاو وصفاً للعربية المولدة، يرى من خلال اختلافها عن العربية القديمة صوتياً وتركيبياً أنَّ الاختلافات بين البنية اللغوية للعربية القديمة والمولدة لا يقتصر على الاختلاف بين النوع اللغوي التأليفي مقابل النوع التحليلي؛ بل إن ظواهر كالأفعال المضاعفة والتطابق فى العدد، وغيرها، قد أُعيد بناؤها في العربية المولدة.[٢٦]

ويشير بلاو إلى أنَّ التفسير الأقوى لوجود لغة مميزة للبدو من خلال القصص التي تعظم قدراتهم اللغوية، وهذا– حسب بلاو– متفق إلى حد كبير مع الرأي العربي التقليدي، ويربط ظهور العربية المولدة بالفتوحات الإسلامية في بداية الإسلام، وقد حدث بعد ذلك انقسام بين اللغة المولدة واللغة الشعرية (ذات النمط اللغوي الذي ينتمي للعربية القديمة)، ولهذا وجد سكان الحضر آنذاك صعوبات وهُم يحاولون استخدام لغة الشعراء فى حين كان أي بدوي عادي يتحدث لهجات تنتمي إلى العربية القديمة، مثلما كان في الجاهلية، وكان هذا سهلاً عليه نسبياً، وهذا مسجل فى القصص التي تُشِيد بقدرة البدوي اللغوية[٢٧]، ويرى بلاو أنَّ وجهة النظر التي تربط ظهور العربية المولدة بين البدو في الجاهلية تفجر مشكلة كبيرة جداً، ذلك أنَّه لو كان الشعراء البدو قد تحدثوا لهجات تنتمي إلى العربية المولدة لظهر ذلك في شعرهم، فكيف يحدث ذلك إذن بدون أن يتركوا آثاراً من تلك اللغة المولدة في قصائدهم مادام أنَّهم كانوا يتكلمونها؟، ويذكر أنَّه قد يشير أيُّ باحث إلى أنَّ القصائد أو الأعمال النثرية قد تمَّ تكييفها مع القواعد العربية الكلاسيكية عن طريق اللغويين، وهذا يمكن أن يحدث مع لغة القرآن، فإنَّنا نعرف (من خلال معالجة الهمزة في القرآن)

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

أنَّ هذا النص أصبح مقدساً منذ بداية نزوله، ولا يمكن أن يكون مصححاً على أيدي اللغويين، فالاختلافات بين العربية القديمة والعربية المولدة ليست محدودة بالنهايات الإعرابية فقط؛ إنَّها في عمق اللغة، ولا يمكن لعلماء اللغة أن يغيروها.[٢٨]

ويذكر بلاو أنَّ فيشر و ياسترو أرادا أن يثبتا اختفاء النهايات الإعرابية في الجاهلية، فافترضا أنَّ ذلككان فى لهجات مولدة قبل الإسلام في المفردات والعبارات، أمَّا التركيب فقد كان مرتبطاً جداً بالعربية الشعرية المعيارية (أي التي كتب بها الشعر)، هذا الرأي- حسب بلاو- غير مناسب لأسباب واقعية ونظرية، ذلك أنَّ نصوص العربية الوسيطة تعكس كلَّ مظاهر اللهجات المولدة، وهذا يشير إلى أنَّ العربية المولدة ليست عربية فقدت النهايات الإعرابية؛ ذلك أنَّ التعويض يسبق الخسارة ويكون سبباً له، ومن ثمَّ فإنَّ لهجات اللغة العربية المولدة القديمة المختلفة فيها تجديدات تبدو في ترتيب الكلمات وغيرها، وهذا الذي جعل علامات الإعراب معدومة الدلالة، وهذا يعني أنَّ هذه الظواهر الجديدة سبقت حالة فقدان علامات الإعراب.[٢٩] ويرى بلاو أنَّ فقدان علامات الإعراب نتج عن نوع مختلف من النبر (Stress) غيَّر سلوك الصوائت داخل الكلمة.[٣٠]

ولعلَّنا نخرج بنتيجة مهمة من طرح ج. بلاو الذي أثبته في بحثه هذا، وهي أنَّه لا توجد دلائل على ظهور لهجات اللغة العربية المولدة في الجاهلية باعتبار أنَّ ظهور العربية المولدة كان قد حدث في مدن الإمبراطورية العربية الجديدة بوصفه أثراً لغوياً للفتوحات الإسلامية الكبرى، وهذا يفسر- حسب بلاو- وجود القصص التي تشيد بخصائص لغة البدو (الذين يختلفون عن سكان المدن في استمرار تحدثهم بلهجات اللغة العربية القديمة خلال القرون الأولى من الإسلام)، وتفسر أيضاً عدم وجود آثار لذلك في العربية المولدة يمكن أن تميز عربية ما قبل الإسلام.[٣١]

ويواصل بلاو توضيح القضية في بحث صدر فى عام ١٩٧٧م تحت عنوان:

(*)The Beginnings of The Arabic Diaglossia: A Study of The Origins of Neo – Arabic.

(وترجمته : بدايات الازدواجية اللغوية العربية: دراسة في أصول العربية المولدة).

يقرر بلاو في بحثه هذا أنَّ خلو القرآن خلواً تاماً من خصائص العربية المولدة والغياب الكامل لملامح النمط التحليلي، وغياب التصحيحات الزائفة (Pseudo- Correct

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

Elements) يؤكد وجود وضع لغوي لا يمكن أن تكون فيه فوارق كبيرة بين اللغة الأدبية واللغة المحكية، فلو لم تكن عامية مكة قبل الإسلام تتصل بالبنية اللغوية المنتمية للعربية القديمة لعثرنا في القرآن على حالات كثيرة من الانحرافات التي نجدها في الواقع في بعض القراءات القرآنية.[٣٢]

ولعلَّنا نخرج بنتيجة مهمة من هذا البحث تخصّ تاريخ ظاهرة الازدواجية اللغوية العربية وأصولها، وهي أنَّها نشأت نتيجة للفتوحات الإسلامية، وتحديداً في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، فقد أدّت جملة من الأسباب الخارجية، ومنها التغييرات العميقة في الأوضاع الاجتماعية – حسب بلاو، واستعمالها أداة للتواصل بين الأمم المغلوبة، إلى ظهور النمط اللغوي العربي المولد. ونجد لديه أسباباً داخلية لهذه الظاهرة، وهى التي مهدت لظهور البنية اللغوية العربية المولدة، وهذه الأسباب تتمثَّل في صيغ الوقف التي كانت موجودة من قبل، وأسباب أخرى مثل تسهيل الهمز وحذفه في الحجاز، وإحلال (ين) للنصب والجر وبدلاً من حالة الرفع (ون) في جمع المذكر السالم في لهجة مكة.[٣٣]

وفى بحثه الذي نشر فى ١٩٨١-١٩٨٢م، وهو بعنوان:

(*) On Some Proto – Neo – Arabic and Early Neo – Arabic Features Differing From Classical Arabic.

يقرر بلاو في هذا البحث أن اللغات الرومانسية(Romance Languages) اشتقت من اللغة الرومانسية الأم (Proto–(Romance، التي تتشابه مع اللغة اللاتينية، لذلك فإنَّ اللهجات العربية لابدَّ أنَّها اشتقت من لغة أم هي العربية المولدة الأم (Proto–Neo–Arabic) التي تقترب من العربية النموذجية قبل الإسلام (والتي أتت منها العربية الكلاسيكية)، والتي لا تعدّ اللغة السليلة (Daughter Language). وحسب بلاو إذا أراد أحد أن يعرف صلة القرابة سيعدّ اللغة العربية النموذجية قبل الإسلام والعربية المولدة الأم لغتين شقيقتين متماثلتين ومتبادلتي الفهم؛ ذلك أنَّ التشابه واضح بين العربية النموذجية قبل

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الإسلام والعربية المولدة الأولى، ومن الممكن أن يسهل هذا عملية إعادة بناء العربية المولدة الأم من خلال تلك العلاقة.[٣٤]

ويذكر بلاو أنَّ على أي باحث أن يَعِي صعوبة الوصول إلى إعادة بناء تلك العربية المولدة كي نصل إلى العربية المولدة الأم.[٣٥] ويصل إلى مجموعة من الصيغ التي يفترض أنَّها تبلّغه ذلك، ومنها كلمة (أيوه) في العامية بمعنى (نعم) التي يذكر أنَّها مرتبطة بالشكل الأقدم» أي والله « (ونعم والله)، وأنَّ تبادل الصيغ مثل (أي والله) و(أيوا) يعد صحيحاً، وممّا يثبت صحة هذا الافتراض أنَّ بعض اللهجات تتطابق مع الصيغة القديمة (أي والله)، ومن هنا يمكن أن يستنتج أنَّ (أي والله وإي والله) من اللغة العربية المولدة المبكرة.[٣٦]

وينتهي بلاو من هذا البحث إلى أنَّ العربية المولدة الأم (التي يعتبرها أمًّا للعربية المولدة) لو أُخذت كقاعدة تقريباً سوف تكون متطابقة مع العربية الكلاسيكية، ولكنَّهما في عدد معتبر من الحالات مختلفتان، كما أنَّ العربية المولدة الأم أو العربية المولدة المبكرة مؤكد اختلافهما عن العربية الكلاسيكية في عدد من الحالات.[٣٧] ونخرج بنتيجة من هذا البحث مؤداها أنَّ هناك صيغاً لغوية تقف بين الكلاسيكية والمولدة، هذه الصيغ يجدها بلاو لغة مولدة يمكن أن تكون أصلاً لهذا التغيّر الذي حدث في تاريخ العربية، ومرحلة من التطور عن العربية القديمة.[٣٨]

يحاول بلاو أن يوضح تاريخ العربية بمراحله وأنواعه، لكنَّ الدرب صعب وشائك، وهذا واضح على مستوى المصطلحات والمواد اللغوية التي يعتمدها، أضف إلى ذلك نقطة مهمة، وهى أنَّ (دراسة تاريخ اللغة العربية وتحليله) درب صعب وغير ممهد، لكنَّ الرجل يحاول وكلُّ محاولة لابدَّ أن تكون لها نتيجة، وهذا ما اتضح من العرض السابق لمحاولات بلاو لتوضيح تاريخ العربية.

ويبقى بعد هذا بحث آخر مهم لبحثنا هذا، قد يكون السبب في اعتراض المستشرق شفتيل عليه، وقد تحدث فيه بلاو عن عدد من التنوعات اللغوية التي شهدتها العربية. وسأقف عنده وقفة متأنية، وهو بعنوان:

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

(*) Classical Arabic ، Middle Arabic، Middle Arabic Literary Standard ، Neo -Arabic Judaeo – Arabic and Related Terms.

(وترجمته: العربية الفصحى، والعربية الوسيطة، والعربية الأدبية النموذجية الوسيطة، والعربية المولدة، وعربية اليهود والمصطلحات المتصلة بها).[٣٩] يفصّل بلاو في هذا البحث مصطلحات العربية ومراحلها، فيقول إنَّ مرحلة الفصحى(Classical Period) للعربية الأدبية (Literary Arabic) جاءت في نهاية القرن الثامن الميلادي، وكانت العربية الأدبية قد قُعّدت على أيدي النحاة في البصرة والكوفة، وسُميت العربية الفصحى في حين أنَّ المادة اللغوية الأولى كانت تبدو في مواضع كثيرة لغة مختلفة، وهي التي يمكن وصفها – حسب مصطلح بلاو– بمصطلح ما قبل العربية الفصحى (Pre - Classical Arabic)؛ وذلك لأنَّ الأعمال المكتوبة بعربية ما قبل الفصحى كانت متأثرة بالمؤلفين القدماء، فضلاً عن أنَّ الحد الفاصل بين العربية الفصحى وعربية ما قبل الفصحى غير واضح.[٤٠]

ويشير بلاو إلى أنَّه من وجهة نظر لغوية خالصة تبدو عربية ما قبل الفصحى نوعاً لغوياً يمكن أن يسمى عربية قديمة (Ancient Arabic) وهي متعارضة مع البنية العربية الموجودة، فالاختلاف– حسب بلاو– جليّ بين النوعين: العربية القديمة والعربية المولدة.[٤١] ويذكر أنَّه من المألوف عادة، عند التمييز بين النوعين: العربية المولدة والطبقة الأقدم منها، تسمية هذا النوع الأقدم بالعربية الوسيطة، فى حين أنَّ الطور اللاحق يشير إلى اللهجات العربية الحديثة، ولا توجد أيَّة اعتبارات غير لغوية (Extra Linguistic) إذا أطلقنا مصطلح العربية الوسيطة على هذين النوعين من العربية.[٤٢]

ويشير بلاو إلى أنَّ دراسات العربية الوسيطة لم تُبن على مصادر مكتوبة بعامية عربية وسيطة خالصة Middle Arabic Vernacular (Pure)، بل جاءت من خلال منتخبات متنوعة من ملامح العربية الوسيطة من نصوص تمتزجفيها الملامح الفصيحة مع التصحيحات الزائدة والعربية الوسيطة، ويقول بلاو إنَّه يريد تسمية

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

هذه النصوص بعربية وسيطة أدبية نموذجية[٤٣] (Middle Arabic Literary Standard). ويذكر أنَّ معرفته تسوقه إلى أنَّه لا توجد نصوص مكتوبة بعربية وسيطة عامية خالصة، ذلك أنَّ المؤلفين قصدوا الكتابة بالعربية الكلاسيكية، لكن كتاباتهم جاءت بالعربية الوسيطة نتيجة جهلهم أو إهمالهم.[٤٤]

ويذكر أيضاً أنَّ العربية الوسيطة الأدبية النموذجية تحتوي إجمالا على سلسلة من المستويات ممزوجة بدون حدود من عناصر العربية الوسيطة والعربية الفصحى، وتقسَّم إلى أنواعثلاثة رئيسة تتضح كالآتي:

- نوع من العربية الوسيطة المفصحة.
- عربية وسيطة شبه فصيحة.
- نوع مزيج من العربية الفصحى والعربية الوسيطة.

وهـذا النـوع الأخير- حسب بلاو- يمكن تسميته بعربية ما بعد الفصحى (Post -Classical Arabic) حسب تقسيم المستشرق الألماني فيشر[٤٥]، ويرى بلاو أنَّ عربية اليهود ظاهرة اجتماعية تمثّل ما يسمى بالعربية الوسيطة، لغة اليهود الذين يشكلون جماعة دينية وثقافية واجتماعية متجانسة تستعمل الخط العبري، حتى في الكتابات التي يكتبونها بالعربية.[٤٦]

وعلى أيَّة حال، فقد اتضحت لنا إلى حد كبير رؤى بلاو لتاريخ العربية، ولعلّ الرسم التوضيحي الذي وضعه المستشرق شفتيل لتصور بلاو لتاريخ العربية مهمّ، لذا سوف أنقله، وهو كالآتي:

العربية القديمة	Ancient Arabic[٤٧]
ما قبل العربية الفصحى	Pre- Classical Arabic
العربية الفصحى	Classical Arabic

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

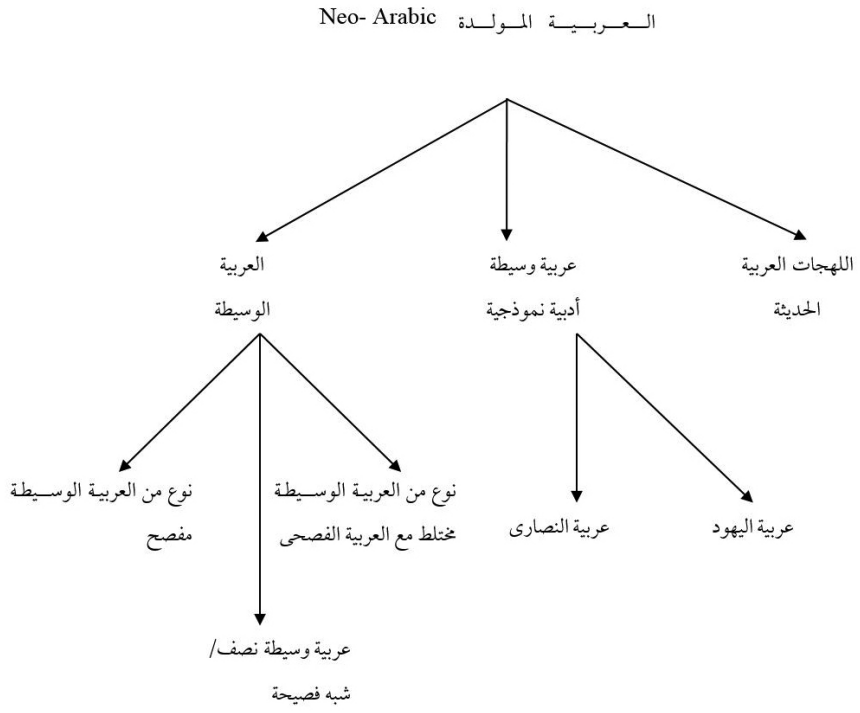

وبعد، فهذا تصور بلاو، وهو لم يسلم من بعض الانتقادات، ومنها انتقادات أ. شفتيل (Shivtiel، A) التي تستحق منَّا وقفة، إذ بيَّن عدداً من العيوب فى تصور بلاو، سوف نوضحها فيما يأتي.

ثانياً: اعتراضات شفتيل [٤٨] على تقسيم بلاو لتاريخ اللغة العربية

لعلَّ عنوان بحث شفتيل أكثر دلالة على عدم رضاه عن تقسيم تاريخ العربية عند بلاو، ذلك أنَّ عنوان بحثه: The Maze of Arabic (وترجمته: متاهة العربية). يذكر في بداية بحثه أنَّ هناك لدى غير المتخصصين في مجال العربية ثلاثة أنواع من العربية، هي: العربية الكلاسيكية، والحديثة، واللهجات، وهذا التقسيم لا يرضى عنه المستعربون؛ ذلك أنَّه تقسيم سطحي لا يعكس الأطوار المختلفة للعربية، سواء أكانت متعاقبة أم متزامنة.[٤٩] ويقول شفتيل إنَّ بلاو في سلسلة من المقالات نشرها وأعيد نشرها في كتاب واحد، حاول أن يطرح تصوراً لعائلة العربية

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

(House of Arabic) في تقسيمات متنوعة واحدة بعد أخرى، وقد أضاف بلاو إلى هذه التنوعات عربية النصارى وعربية اليهود، فى حين أشار إلى هذه التنوعات على اعتبارها عربية مولدة، ويمكن تقسيم هذه التنوعات إلى العربية الوسيطة والعربية المولدة[٥٠]، ويرى شفتيل أنَّ وجهات النظر المتعلقة بما إذا كانت العربية الفصحى تمثّل أداة التواصل في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام أم لا، فإنَّه ليس ثَمَّة دليل يؤكد إحدى هذه الرؤى في أيٍ من الاتجاهين، كما يرى أنَّه عندما نحاول اتباع تقسيم بلاو لا يمكن أن نتخلص من الشعور بأنَّ التمييز المقترح من قبل بلاو لأنواع العربية تمييز سطحي.[٥١] ويذكر شفتيل أنَّ معرفتنا باللهجات العربية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ليست كافية لطرح صورة واضحة عن بنيتها أو مفرداتها، لأنَّ ذلك سوف يعتمد في الأساس على مصادر ثانوية منها كتب النحاة العرب، هذا بالإضافة إلى أنَّ أيَّة نتيجة نتوصل إليها-حسب شفتيل- سوف تعتمد على مقارنة مع العربية الفصحى، وهي بذاتها تشكل معضلة لا حلَّ لها.[٥٢]

إنَّ تقسيم بلاو-كما يذكر شفتيل- يحاول حصر الاختلافات الموجودة بين النصوص المختلفة، وعلى الرغم من ذلك فقد أقرَّ بلاو نفسه «أنَّ الحدود التي تفصل بين العربية الكلاسيكية وما قبل الكلاسيكية غير واضحة؛ لأنَّ الأعمال التي كتبت في مرحلة ما قبل العربية الكلاسيكية كانت تقرأ بصورة مستمرة، ومن ثَمَّ تأثَّر بها الكتاب اللاحقون». إنَّ هذا التحفظ من قبل بلاو بالنسبة إلى شفتيل يمثّل مقولة أساسية يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار[٥٣]، كما أنَّ ما يسميه بلاو عربية ما قبل الكلاسيكية لا يمكن أن يعكس المرحلة المبكرة، لأنَّ هذه اللغة تشير إلى مصادر الأدب الجاهلي بكلِّ ما يحتويه هذا الحصاد من أسلوب بلاغي جميل، وهذا الأسلوب من الأدب لا يمكن أن يستخدم وسيلة اتصال يومية كالوسيلة التي تنتمي إلى العامية.[٤٥]

ويخلص شفتيل إلى أنَّ نظرية بلاو في تقسيم تاريخ العربية تعاني من عيبين، رغم كونها تبدو للوهلة الأولى جيدة السبك، ويتلخص هذان العيبان - حسب شفتيل- في الآتي:

١. تمت مناقشة الشاهد الأسلوبي Stylistic Evidence بطريقة هزيلة.

٢. أهملت (أي نظرية بلاو) الوضع الحالي للعربية بصورة تامة.[٥٥]

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

ويوضح شفتيل العيب الأوَّل فيقول إنَّ التحليل الأسلوبي ليس مهمة سهلة على الإطلاق، فربَّما نستطيع بقدر معقول من النجاح أن نحلّل لغة ما صوتياً وصرفياً وتركيبياً ودلالياً، لكنَّ العقبة الكبرى تكمن في عرض تحليل أسلوبي دقيق للغة؛ ذلك أنَّ الأسلوب يتكوّن من مجموعة العناصر سالفة الذكر، يضاف إليها الأبعاد النفسية والاجتماعية والفلسفية التي تتصل بالكاتب/ المتكلم وبالقارئ/ المستمع، وعلاوة على ذلك تتدخل الظروف والمواقف التي تشكل خلفية النص أو العبارة وطبيعتها، لكنَّ العديد من هذه العناصر وبخاصة عند معالجة نص قديم تكون مفقودة وتأتي غامضة، ومن ثَمَّ تكون عرضة للتخمين.[٥٦] وينتهي شفتيل من هذه النقطة إلى أنَّ أسلوب الرسالة الخاصة يختلف عن الأسلوب المستخدم في البحوث العلمية أو الأعمال الأدبية أو في الخطاب المحكي، فاللغة المستخدمة في هذه الأجناس الخطابية ربَّما تختلف من حيث القواعد والمفردات.

على أيَّة حال فإنَّ تصور بلاو للعربية الوسيطة مرفوض تماماً في رأي شفتيل، وذلك لأسباب، منها أنَّ بعض الظواهر الفردية التي تتصل بالعربية الوسيطة يمكن مقارنتها إذا انتبهنا جيداً للسمات الأسلوبية، لذا فاستخدام أشكال نادرة من العربية الكلاسيكية بصورة متكررة من قبل كاتب نص ينتمي إلى العصور الوسيطة ربَّما لا يعكس بالضرورة تجاهله للاستخدام الشائع أو غير الشائع من اللغة بقدر ما يعكس رغبته الشديدة في استخدم أسلوب منمق يقوم على صيغة غير مألوفة وكلمات تجعله متفرداً.[٥٧]

لنذكر شفتيل أنَّنا يمكن أن نتفق مع بلاو في أنَّ التصحيحات الزائفة (Hyper-corrections) نتيجة تجاهل كاتب النص ورغبته القويَّة في استخدام عربية فصيحة رفيعة المستوى، لكن ربَّما كانت في بعض الحالات أشكالاً موجودة في لهجة ما وليست تشويهاً لقاعدة من القواعد العربية الفصحى، ويذكر من هذه النماذج «أبوك، وأخوك» وغيرها، فليس بالضرورة – حسب شفتيل– أن ينظر إلى الحالات الثلاث جميعها على أنَّها تشويه متعمّد لقاعدة من قواعد الفصحى، لكن ينظر إليها بوصفها أشكالاً موحدة تمَّ قبولها بوصفها قاعدة في لهجات عديدة.[٥٨]

ثم يوضح شفتيل العيب الثاني في رؤية بلاو لتاريخ العربية، فيقول إنَّ وضع العربية المعاصرة ربَّما يعكس إلى مدى بعيد الموقف الذي كان قائما في جميع المراحل السالفة

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

من مراحل العربية، وما يراه شفتيل مقبولاً بصورة كبيرة أن يكون للعربية المعاصرة ثلاثة مستويات هي: العربيــة الأدبية (Literary Arabic) التي تختلف عن غيرها من خلال أسلوبها الرفيع والتي تستخدم عادة في سياق ديني، والعربية النموذجية (Standard Arabic) التي تستخدم بصورة أساسية في التواصل اليومي المكتوب من خلال الكتاب المعاصرين، وهناك كم كبير من اللهجات التي تستخدم في مناطق مختلفة من الأقطار الناطقة بالعربية للتواصل الشفهي.[٥٩] ويشير إلى أنَّ بعض عناصر هذه اللهجات انتقل إلى الأدب العربي الحديث على الرُغم من الاحتجاج الشديد من الحريصين على نقاء اللغة[٦٠]، ويذكر شفتيل أنَّنا نشهد الآن ممارسة متزايدةفي استخدام العربية النموذجية المعاصرة (Modern Standard Arabic) التي تتكون من العربية الفصحى، ولكنَّها تبتعد قليلاً عن القواعد الصارمة، وتتسم بالاستخدامات المستحدثة الناتجة عن تأثيرات أجنبية، فهي في واقعنا اليوم عربية وسيطة (Middle Arabic)، ومن ثَمَّ نجد بعض التراكيب فيها يتعارض مع القواعد الكلاسيكية/ الفصيحة، ونجد وبدرجة أقل كلمات وتعبيرات من العامية لم تكن مستخدمة من قبل في هذا المستوى، ويشير إلى وجود التصحيحات الزائفة في العربية الحديثة و بخاصة في الخطابات الرسمية والبيانات الشفهية.[٦١]

ينتهي شفتيل إلى أنَّنا يمكن أن نفترض أنَّ هذه الحالة كانت موجودة في جميع مراحل العربية وبشكل كميّ، فالتراكيب النحوية المميزة للعربية الكلاسيكية ومفرداتها واللهجات التي تعتمد عليها قد اختلفت وهذا ليس عبر المراحل التاريخية المختلفة فقط وإنَّما من مجتمع لآخر أيضاً. ويمكن أن نضيف- حسب زعمه - التأثيرات الأجنبية القويَّة التي وجدت على مر التاريخ، والتي نتجت بصورة خاصة عن الفتوحات الإسلامية والاحتكاك بين العربية الفصحى واللهجات الأخرى.[٦٢] لذا نجد في عربية اليهود - حسب شفتيل- أحد الأمثلة البارزة للعربية الوسيطة الأدبية وما فيها من تركيبات نحوية وكلمات وتعبيرات من العربية الفصحى واللهجات العربية، كذلك نجد كلمات عربية وآرامية (لكن بعيداً عن التركيب النحوي الخاص بها)، وبالطريقة نفسها تحتوي العربية النموذجية الحديثة على عددٍ من الكلمات التي تنتمي إلى العربية الفصحى، وعددٍ ضئيل من العامية، وعدد هائل من الكلمات الأجنبية.[٦٣]

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

ويرى شفتيل أنَّه لا يمكن الحديث عن عربية اليهود بوصفها كياناً متآلفاً، لأنَّها كانت مستخدمة من قبل اليهود الذين عاشوا في مناطق مختلفة من الإمبراطورية العربية المترامية الأطراف، كذلك لا يصح النظر إلى العربية النموذجية على أنَّها ضرب موحد، فالاختلافات الشاسعة في المصطلحات الحديثة المستخدمة في مناطق عربية مختلفة دليل واضح على الحاجة إلى توحيد العربية اليوم.[٦٤] و يخلص شفتيل من كلِّ ذلك إلى وجوب التفريق بين ثلاثة أنواع من العربية التي وجدت في كل جيل أو على الأقل منذ أن ظهرت العربية الفصحى الأدبية (Classical literary Arabic) لأوَّل مرة، بالإضافة إلى النمطين الأساسين اللذين اقترحهما بلاو، وهذه المستويات هي:

- الكلاسيكية / الفصحى (العربية الراقية).
- النموذجية (Standard) العربية الوسيطة المكتوبة أو المنطوقة لدى متحدثي اللهجات العربية المختلفة.
- العامية (Colloquial) (اللهجات المحكية).[٦٥]

ويرى شفتيل أنَّه وصفياً يجب أن نتحدث عن معايير أو أنواع من العربية، وتاريخياً يجب أن نشير إلى طبقات من اللغة؛ ذلك لأنَّه يصعب تقدير طبقات اللغة العربية من حيث التوزيع والمدة الزمنية، ويفضل الاهتمام بإثبات وجودها بدلاً من التكهن بالفترة التي بدأ فيها استخدام هذه الأشكال اللغوية، وكذلك مدة استخدامها.[٦٦]

ثم يقترح تقسيماً لتاريخ اللغة العربية كالآتي:

الجدول[٦٧]

المعايير أو الأنواع			المرحلة تقريباً	الطبقات أو الأطوار
العامي/ المحلي: اللهجات العربية القديمة	النموذجية: فى النقوش والخطوط المختلفة بخاصة المقتبسة من مصادر مختلفة	الفصحى: الأدب الجاهلي	من ٦٠٠ ميلادية	العربية الأم Proto Arabic العربية القديمة Ancient Arabic

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

المعايير أو الأنواع			المرحلة تقريباً	الطبقات أو الأطوار
العامي/ المحلي: لهجات المناطق تشتمل على لهجات أقليات مقعدة من قبل المسلمين	النموذجية: فى برديات عربية النصارى واليهود	الفصحى: فيالقرآن- الحديث- والأدب العربي	تقريباً من ٦٠٠ إلى ١٨٠٠ ميلادية	العربية الوسيطة Medieval Arabic
العامي/ المحلي: اللهجات المحكية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا	النموذجية: لغة الأدب العربي الحديث ووسائل الإعلام ونادراً في الحديث الشفوي	الفصحى: في السياق الديني	تقريباً من سنة ١٨٠٠ ميلادية حتى الآن	العربية المعاصرة أو الجديدة Modern or Neo-Arabic

وينتهي من بحثه إلى بعض النتائج مشدداً على تفضيله أن يحلَّ مصطلح العربية النموذجية (Arabic Standard) محل مصطلح العربية الوسيطة (Middle Arabic)؛ لأنَّه اعتُبر كياناً منفصلاً فى حين أنَّ العربية الوسيطة تتضمن مزيجاً يكاد يكون متساوياً من الفصحى والعامية [٦٨].ويشير شفتيل كذلك إلى أنَّ الفترة ما بين عام ٥٠٠ إلى ١٥٠٠ ميلادية تسمى بالعصر الوسيط، وكانت العربية في هذه الفترة قلقة. ويذكر أنَّ التقسيم المقترح يشير إلى تحوّل جذري يأخذ مكانه بصورة أساسية في زماننا عندما تصبح العربية الفصحى مقصورة على سياق ديني فى حين يكون الأدب العربي مكتوباً بعربية نموذجية.[٦٩]

ثالثاً: تحليل لنقد شفتيل لتقسم بلاو لتاريخ العربية

١ – لعلَّنا نلاحظ بقوة مشكلة المصطلحات المستخدمة من قبل المستشرقين فنجد عند بلاو عدداً من المصطلحات الرئيسة التي يجب أن تفهم من خلال نظريته هو لتاريخ العربية. وفى هذا الصدد نذكر أنَّ تباين المصطلحات يرجع إلى أسباب متعددة،

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

منها: اختلاف الرؤى فنجد المدرسة الألمانية قائمة على المصطلحات التالية: (Al-tarabisch) العربية القديمة،(Mittelarabisch) العربية الوسيطة (Neuara-bisch) العربية الحديثة.[٧٠] ويُذكر أنَّ تقسيم الألماني فلايشر هو المسؤول عن تقسيم المستشرق الألماني الذي جاء بعده فيشر، الذي يقسم العربية إلى مراحل متعارف عليها بالمصطلحات التالية: (Vorklassische Arabiche) عربية ما قبل الكلاسيكية، و(Klasslsche Arabiche) العربية الكلاسيكية،(Nachklassische Arabi-che)عربية ما بعد الكلاسيكية[٧١]. وعند بلاو (Old Arabic) العربية القديمة و(Middle Arabic) العربية الوسيطة، و Neo-Arabic)) العربية المولدة، وتنوعات أخرى من العربية.[٧٢] ويستخدم شفتيل مصطلحات دالة على أنواع من العربية، يي (Classical Literary Arabic) العربية الفصحى الأدبية و (Standard Ara-bic) العربية النموذجية، و (Colloquial Arabic) العربية العامية/ المحلية.[٧٣]

ونجد عند فريمان أحد عشر نوعاً من العربية بمصطلحات مختلفة يترجمها الدكتور حمزة المزيني مترجم بحث فريمان: (طبيعة اللغة العربية القديمة وتغيرها إلى العربية الحديثة ومن ثَمَّ إلى العربية المعاصرة) فذكر مصطلحات: عربية الشعر المشتركة، والعربية المتكلمة القديمة، العربية القديمة، العربية الوسيطة المكتوبة، العربية الوسيطة المتكلمة، العربية المتكلمة الجديدة، العربية النموذجية المعاصرة، العربية الجديدة، العامية العربية المشتركة، العربية المشتركة[٧٤]، ولعلَّ ما ذكره الألماني ديم يؤكد تلك القضية، ذلك أنَّه يقول: «إنَّ من المشكلات المنهجية التي يواجهها علماء الساميات واللغة العربية بصورة خاصة مشكلة المصطلحات العلمية، وهي مشكلة ذات جوانب متعددة».[٧٥]

من هذا كلِّه نرى أنَّ الاختلاف ما بين المستشرقين في تصوراتهم للعربية ومراحلها يجعل بعضهم يستعمل مصطلحات مختلفة باعتبار أنَّ المفاهيم مختلفة، كما نلاحظ أنَّ هناك عدم استقرار في المصطلحات، وهذا في رأيي يرجع إلى عدم الاستقرار في الرؤى والتصورات، ونموذج لهذا ما نجده عند بلاو في بحوثه.

وعند الباحثين العرب (الذين يعنون بتاريخ العربية)، وهم قليلون، نجد هذا النموذج والغموض نفسه في استخدام المصطلحات، وربَّما كانت قلة البحث في هذا المضمار سبباً في جعل المصطلحات على هذا النحو من الغموض وعدم التوحيد

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

ومن ذلك: عربية التراث، والعربية القديمة المتأخرة، والعربية الكلاسيكية، واللغة الفصحى، والعربية الوسيطة، والعربية الحديثة.[٧٦] وربَّما يكون السبب المباشر هو أنَّ الباحثين لم يتفقوا على تقسيم محدد لتاريخ العربية، أو لأنَّ هذه الأعمال تمثّل جهوداً فردية إلى حد بعيد، ومن ثمَّ لا يوجد اتفاق في المصطلحات والمفاهيم، وإن كانت المدرسة الاستشراقية الألمانية أكثر اتفاقاً إلى حد كبير، وهذا لا يعني اتفاق كلِّ المستشرقين الألمان في هذا المضمار.

٢- كما ذكرت آنفاً لعلَّ عنوان بحث شفتيل أكثر دلالة على عدم رضاه بتقسيم تاريخ العربية كما وضحه بلاو. فعنوان بحثه ما ترجمته بالعربية: متاهة العربية، ويذكر فيه تقسيم العربية إلى ثلاثة أنواع هي: الكلاسيكية، والنموذجية، واللهجات، وهذا تقسيم لا يرضى به المستعربون وذلك لكونهتقسيماً سطحياً، لا يعكس الأطوار المختلفة للعربية سواء أكانت متعاقبة أم متزامنة.[٧٧]

ويذكر أيضاً أنّنا عندما نحاول اتباع تقسيم بلاو لا يمكن أن نتخلص من الشعور بأنَّ التمييز الذي يقترحه سطحي[٧٨]، فهو يفرق كما رأينا في تقسيماته بين العربية القديمة والوسيطة والمولدة وتنوعات أخرى منها عربية اليهود وعربية النصارى، بل إنَّ العربية الوسيطة لديه تنقسم كما رأينا إلى عربية وسيطة عامية خالصة، وعربية وسيطة أدبية نموذجية، ويقسمها أحياناً إلى عربية وسيطة مفصحة، ونوع منها شبه فصيح، ونوع تمتزجفيه العربية الفصحى والعربية الوسيطة. كلُّ هذه تنوعات من العربية، وقد يكون هذا ما جعل شفتيل يصفه بأنَّه سطحي، ويصف عمله بمتاهة العربية.

إنَّ تصورات بلاو لأنواع العربية تحاول حصر الاختلافات بين النصوص المختلفة، لكنَّ الأمر صعب في تحديد أنواع ومراحل العربية، ولعلَّ هذا ما ذكره بلاو نفسه حينما قال: «إنَّ الحدود التي تفصل بين العربية الكلاسيكية وما قبل الكلاسيكية غير واضحة؛ لأنَّ الأعمال التي كتبت في مرحلة ما قبل العربية الكلاسيكية كانت تقرأ بصورة مستمرة، ومن ثَمَّ تأثَّر بها اللاحقون»[٧٩]، وهذا التحفظ مقولة أساسية يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار- على حد قول شفتيل.[٨٠]

وذكر شفتيل أنَّ معرفتنا باللهجات العربية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ليست كافية لرسم صورة واضحة عن بنيتها ومفرداتها، لأنَّ ذلك سوف يعتمد في

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الأساس على مصادر ثانوية منها النحاة العرب، هذا بالإضافة إلى أنَّ أيَّة نتيجة يُتوصَّل إليها –حسب ما يذكر شفتيل– سوف تعتمد على مقارنة مع العربية الفصحى، وهي بذاتها معضلة لا حلَّ لها[٨١]. نلاحظ هنا أمورا كثيرة لعلَّ أولها أنَّ المعرفة باللهجات العربية قبل الإسلام ليست كافية، والمصادر المتاحة مصادر ثانوية. ولكن أليست القراءات القرآنية تمثّل تنوعات لهجية يمكن الاعتماد عليها؟ أليست القراءات لا تزال متواترة على ألسن القراء وتمثّل صورة من اللهجات العربية القديمة يمكن أن نستخلص منها سمات لغوية مميزة باعتبار أن تعدد القراءات كان موجوداً في حياة النبي (ص) ؟ كما أنَّ الشعر الجاهلي أيضاً يحتوي على كثير من الظواهر اللهجية التي تعطي صورة ما عن اللهجات العربية القديمة، ولكن كيف ذلك وكثير من المستشرقين يشككون في كثير من الروايات العربية، سواء أكانت للشعر أم للقراءات؟[٨٢]

إن الفرق واضح بين الرؤيتين، وأستنتج من هذا أنَّ بلاو متأثر بالمدرسة الألمانية بداية من نولدكه و فوك، تلك المدرسة الأكثر اعتدالاً والأقل شكّا وبخاصة هؤلاء العلماء. ومن ثَمَّ تأتي كتابات بلاو أكثر قرباً لها وربَّما كانت امتداداً لها. هذا من جهة، وهناك تيار آخر من المستشرقين يرفض ويشكك في الروايات العربية وأحكام النحاة العرب، ويتضح هذا الاختلاف في تصور كل من بلاو و شفتيل للعربية الفصحى، فالأوَّل– وهو بلاو– يرى أنَّ المرحلة المفصحة للعربية الأدبية جاءت في نهاية القرن الثامن الهجري، وكانت العربية الأدبية قد رُسّخت على أيدي النحاة في البصرة والكوفة، وسُميت بالعربية الفصحى/ الكلاسيكية، والمادة اللغوية السابقة لهذه الفترة يصطلح على تسميتها بما قبل العربية الفصحى (Pre-Classical Arabic).[٨٣] ونلحظ لديه ارتباطه بتصور الألماني فيشر للعربية. أمَّا شفتيل فيرى أنَّ العربية الفصحى تشكّل معضلة في حد ذاتها،[٨٤] فهناك تباين بين الرؤيتين: رؤية أنَّ الفصحى مرحلة من العربية، ورؤية أخرى ترى الفصحى تنوعاً يشكل معضلة للباحثين، ويتصور شفتيل أنَّ في كلِّ مرحلة من تاريخ اللغة العربية هناك تنوعات لغوية ثلاثة. وحسب هذه الرؤية الأخيرة التي تنسب لشفتيل وبعضٍ من المستعربين فإنَّ الازدواجية اللغوية حاصلة في كل مراحل العربية، وهذا الزعم موجود لدى قطاع كبير من المستشرقين، ومنهم المستشرق الفرنسي لارشيه(Larcher، P.)الذي يذكر أنَّ تاريخ العرب يُنظر إليه على أنَّه تتابع من الازدواجيات اللغوية من أرض إلى أخرى، ففي الجاهلية ازدواجية

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

لغوية بين العربية الشعرية المشتركة واللهجات العربية، وبعد الإسلامكانت ما بين الفصحى (التي تأسست على عربية الشعر المشتركة وعربية القرآن)، ومع المشتركة العسكرية لدى جنود الجيش الإسلامي وبهما تمثلّت ازدواجية تالية، ثم في العصر الحديث تأتي العربية الفصحى الحديثة مع اللهجات العربية الحديثة لتمثّل ازدواجية لغوية في العالم العربي الحديث.[٨٥]فتصور شفتيل هذا في هذه النقطة قريب من تصور الفرنسي لارشيه، كما أنَّ شفتيل يرى أن الفصحى تشكّل معضلة لا حلَّ لها، وهذا ينبع من اختلاف مع وجهة نظر بلاو الذي يرى أنَّ الفصحى مرحلة من العربية، لكنَّ هذا الفريق يراها تنوعاً، ففي بحث لارشيه:

Arabe Préislamique – Arabe Coranique – Arabe Classique Un Continunm ?

(وترجمته: عربية ما قبل الإسلام، العربية القرآنية، العربية الكلاسيكية، سلسلة متصلة من التنوعات اللغوية)، يرى لارشيه أنَّ العربية الكلاسيكية/ الفصحى لم تكن سمة تاريخية؛ لكنَّها سمة لغوية اجتماعية، فتعرف العربية الفصحى-لدى لارشيه- على أنَّها تنوع لغوي ذو مكانة، وهذا ظهر في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[٨٦]، ويذكر لارشيه أيضاً أنَّ الفصحى تعدّ مصفاة وانتقاء/ اختيارا (Sélection)، وعربية الشعر المشتركة (التي كُتِبَ بها الشعر القديم) لم تكن إلَّا أسطورة مقدمة كخلفية للعربية النموذجية، كما أنَّ ارتباطها بلغة قريش أمر عقائدي فقط.[٨٧]

تبقى وجهة نظر شفتيل إذن قريبة من وجهة نظر لارشيه في هذا الجانب، بعيداً عن التيار العلمي الذي يمثله فوك و بلاو و فرستيخ، فالعربية الفصحى نوع من العربية القديمةفي تقسيم بلاو، أمَّا عند لارشيه فهي تنوع لغوي ذو مكانة اجتماعية، وهى ليست مرحلة تاريخية من العربية، وإنَّما نتجت عن عملية انتقاء من نصوص عربية مختلفة على أيدي النحاة، ولم تمثّل حالة واقعية للغة العربية، وهذا تصور مضاد للتيار الذي يمثّله فوك و بلاو و فرستيخ الذي يقول «إنَّ النحاة العرب لم يكونوا على خطأ لمّا بحثوا في لغتهم العربية باعتبارها كلاً لا يتجزأ، ولغة حية، ولغة توليد لغوي»[٨٨]. أظن أنَّه قد اتضح الخلاف بين التيارين السائدين عند المستشرقين الباحثين في تاريخ اللغة العربية.

إنَّ الاتجاه العلمي الذى يمثّله شفتيل و لارشيه لا يعير أيَّ اهتمام لما ذكره العلماء

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

العرب القدماء عن تاريخ العربية وتطورها من العربية القديمة إلى المولدة، فعدم الثقة واضح، كما يرفض هذا الاتجاه بعض النقاط التي توصل إليها الباحثون فى تاريخ العربية واللغات السامية فى نقطتين مهمتين:

أ- إذ أكد الباحثون فى النقوش العربية القديمة أنَّ السمات التركيبية الخاصة بالعربية الفصحى ترجع جذورها إلى ما قبل القرن الثالث للميلاد، أي إلى زمن نقش رَقوش، فهي مماثلة لنقوش رَقوش وقرية الفاو التي يرجح أنَّها تعود إلى فترة قد تصل إلى القرن الثالث قبل الميلاد(٨٩).

ب- يرى بعض الباحثين في اللغات السامية أنَّ ما حدث للغة العربية من تغيّر إبَّان الفتوحات الإسلامية الكبرى يشبه ما حدث للغات سامية كالأكادية والآرامية قبل مئات السنين، بالرغم من أنَّها ظهرت في مرحلة تاريخية متأخرة بعد هذه اللغات التي يتشابه تطورها مع العربية المولدة(٩٠).

وهناك نقطة مهمة أخرى سأوضحها فى الصفحات التالية، وهي أنَّ من نقاط ضعف رؤية أ. شفتيل تصوره للواقع اللغوي العربي فى الجاهلية على أنَّه يشبه الواقع اللغوي المعاصر، وهذا يضعف من مقبولية رؤيته، ذلك أنَّ اللغة ظاهرة اجتماعية، والمجتمع العربي فى الجاهلية مختلف كثيراً عن المجتمع العربي الحديث.

وأنتقل إلى عنصر آخر في نقد شفتيل لتصورات بلاو لتاريخ اللغة العربية، هذا العنصر مرتبط بالسابق، وفيه يرى شفتيل أنَّ ما يسميه بلاو عربية ما قبل الكلاسيكية لا يمكن أن يعكس المرحلة المبكرة؛ لأنَّ هذه اللغة تشير إلى مصادر الأدب الجاهلي بكل ما يحتويه هذا الحصاد الأدبي من أسلوب بلاغي جميل، وهذا الأسلوب من الأدب لا يمكن أن يكون وسيلة اتصال يومية(٩١).

هناك تعارض واضح بين رؤية بلاو والتيار العلمي من المتفقين معه، ومنهمفرستيخ و نولدكه و فوك وفلايشر، وتيار آخر يمثّله شفتيل و لارشيه وأوينز و رتسو. فبلاو كما رأينا آنفاً يرى أنَّ عربية ما قبل الفصحى نوع لغوي يمكن أن يسمى عربية قديمة، وتتعارض بنية هذا النوع مع البنية اللغوية المولدة، وتبدو العربية القديمة -حسب بلاو- نوعاً تأليفياً (Synthetic Type) يقابل العربية المولدة التحليلية (Analytic Neo – Arabic)(٩٢)، ولو لم تكن عامية مكة قبل الإسلام تتصل بالبنية اللغوية القديمة

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

لعثرنا في القرآن على حالات كثيرة من الانحرافات عن العربية النموذجية، ويرى بلاو أنَّ ظاهرة الازدواجية اللغوية كانت نتيجة للفتوحات العربية وأن التغير الحاسم بدأ خلال الفتوحات، في القرن الأوَّل الهجري/ السابع الميلادي[٩٣]. هذه رؤية بلاو، وهى تتفق مع ما ذكره العرب القدماء تقريباً. أمَّا تصور شفتيل فيشكك فيما ذكره العلماء العرب؛ فقد ذكر ابن خلدون أنه « وإنَّما وقعت العناية بلسان مضر لما فسد بمخالطتهم الأعاجم حين استولوا على العراق والشام ومصر والمغرب، وصارت ملكته على غير الصورة التي كانت أولاً فانقلب لغة أخرى».[٩٤]ويرى شفتيل أنَّ عربية الأدب الجاهلي لا يعقل أن تكون هي لغة العامة في ذلك العصر، ويرتبط هذا التصور عنده بتصور شامل هو أنَّ في كلِّ عصر للعربية نجد لها تنوعات، هي: فصحى، ونموذجية، ولهجات عامية، في حين يرى بلاو أنَّ عامية الجاهلية في مكة كانت قريبة من النوع نفسه الذي تمثّله لغة الأدب العربي في ذلك الوقت.

إنَّ الواقع اللغوي العربي الحاضر بما يحتويه من ظواهر لغوية كان سبباً لتصور بعض الباحثين أنَّ الواقع اللغوي القديم كان بهذا الشكل، وليس أدَّل على ذلك من قول تيار كبير يمثّله لارشيه وغيره إنَّ الازدواجية اللغوية العربية تبدو موصولة بمراحل بعيدة، وهي نموذج موجود عند العرب قبل الإسلام. والحقيقة أنَّ الواقع اللغوي في الجاهلية مختلف عن الفترة التي تلت ظهور الإسلام، فبعد الإسلام حدث للعرب تغير ثقافي- اجتماعي- لغوي، إذ «أصبح العرب جميعهم في وقت قصير جداً - سواء أكانوا من البدو أم منسكان الحضر- الطبقة المسيطرة في إمبراطورية مترامية الأطراف، فما الذي يمنع التغيّر اللغوي من أن يصحب هذا التغيّر الكبير في البنية البيئية؟»[٩٥]، ومن ثمَّ فإنَّ مجتمع الجاهلية مختلف عن مجتمع ما بعد الفتوحات الإسلامية، وكما يقول فريمان إنَّ المسلمين الجدد تعلموا العربية بطرق مرتجلة وغير محددة للتعليم، يضاف إلى هذا أنَّه نتج عن تزوج العرب بنساء من سكان الأقطار المفتوحة أجيال كاملة من الأطفال الذين ينتمون إلى الإسلام والعرب اسمياً، لكنَّهم تعلموا لغتهم الأولى (العربية) من أمهاتهم اللائي ربَّما لم يتكلمن العربية بصورة جيدة».[٩٦]

ومن هنا فأنا أميل إلى رؤية بلاو في هذا الجانب، وأختلف مع شفتيل في تصوره العام، وإن كان مصيبا حين يقول إنَّ عربية الأدب الجاهلي لن تكون مثل العربية المحكية في هذا العصر، لكن أشير إلى أنَّ الفروق بين عربية الأدب الجاهلي والعربية

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

المحكية في هذا العصر لم تكن كبيرةكما هو الفرق بين الفصحى واللهجات في عصرنا الحديث. وعلى أيَّة حال فرأينا أنَّ الفرق بين التنوعين في الجاهلية كان حاصلاً كما في كثير من اللغات العالمية الآن، كالفرنسية الأدبية/ النموذجية والفرنسية المحكية، مؤكد أنَّ بينهما العديد من الفوارق لكن لن تصل الفروق إلى ما هو موجود في الواقع اللغوي العربي الحديث.

ونقف الآن عند العيوب التي رصدها شفتيل في تصورات بلاو، إذ يقول إنَّ نظرية بلاو في تقسيم تاريخ اللغة العربية، رغم كونها تبدو من الوهلة الأولى جيدة السبك، تشكو عيبين يلخصهما في الآتي:

العيب الأول: ويتمثل في أن بلاو ناقش الجانب الأسلوبي (Stylistic) بطريقة هزيلة، وكان التحليل الأسلوبي في رأيه مهمة ليست بالهيّنة؛ ذلك أنَّ الأسلوب يتكون من المستويات اللغوية صوتاً وصرفاً وتركيباً ودلالة، يضاف إليها الأبعاد النفسية والاجتماعية والفلسفية التي تتصل بالكاتب/ المتكلم.[٩٧] ولا أتصور أنَّ هذا عيب خطير، لأنَّ الأمثلة المذكورة هنا (مثل أبوك، وغيرها) ليست دليلاً قوياً على خطأ بلاو أو إهماله للجانب الأسلوبي، كما أنَّها قليلة. أمَّا ما ذكره عن التصحيحات الزائفة (Hypercorrections) – وهي حسب اللغويين، كما ذكرنا، محاولة واعية يقوم بها المتكلم لمحاكاة اللغة النموذجية أو اللغة الثانية وتفضي إلى صيغة غير صحيحة تعرف بصيغة التصحيح الزائد–[٩٨] فإنَّ الأمثلة الكثيرة التي ذكرها بلاو للتصحيحات الزائدة تؤكد تنوعها وبُعدها عن القواعد التي سجلها نحاة العربية الفصحى، كما أنَّ التنوعات التي يراها شفتيل لهجية قليلة مقارنة بالتصحيحات الزائدة الأخرى التي سجلها بلاو في كتبه.[٩٩]

العيب الثاني: ويتصل برأي بلاو حول تاريخ العربية، وأنَّ وضع العربية المعاصرة ربَّما يعكس إلى مدى بعيد الوضع الذي كان قائما في جميع المراحل السالفة من مراحل العربية. فحسب شفتيل من المقبول بصورة كبيرةأن تكون للعربية المعاصرة ثلاثة مستويات.[١٠٠] كلُّ هذه الأدلة من وجهة نظر شفتيل تؤكد رؤيته بأنَّ للعربية في كلِّ مراحلها مستويات ثلاثة: هي الفصحى، والنموذجية (وهى التي تقابل العربية الوسيطة عند بلاو) واللهجات، والتصحيحات الزائفة التي كانت في العربية في

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

العصور الوسيطة موجودة في العربية النموذجية حسب شفتيل. إنَّ ما يريد أن يؤكده شفتيل هنا كان قد وضحه في الجدول الذي بيّن فيه تاريخ العربية، إذ جعل في كلِّ مراحل العربية ثلاثة مستويات، الفصحى والنموذجية واللهجات، وهو يرى أنَّ هذا هو الوضع الذي كانت عليه العربية في كل مراحلها.

ولِي عدة ملاحظات على هذا الزعم، أسوقها كالآتي:

١- كيف يزعم شفتيل وجــود مستويات ثلاثة للعربية في الجاهلية، وهذا واضح من كلامه وجدوله، وهو نفسه يذكر سلبيات بلاو؟ وكيف يقول إنَّ معرفتنا باللهجات العربية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ليست كافية لطرح صورة واضحة عن بنيتها ومفرداتها، لأنَّ ذلك يعتمد في الأساس على مصادر ثانوية منها النحاة العرب؟[١٠١] على أيَّة حال من الواضح أنَّه وقع في تناقض، فكيف يقول إنَّ معرفتنا باللهجات العربية في الجاهلية ليست كافية، ثم يذكر أنَّ الجاهلية قد شهدت ثلاثة مستويات من العربية، وأن هذا قد تكرر في كل مراحلها، ويبني من خلال ذلك تصوراً لتاريخ العربية؟

٢- كيف لشفتيل وهو يرفض في نقده تصورات بلاو أن يقع في خطأ لا يقع فيه أي مستشرق أو باحث صغير في تاريخ العربية، حين يرى أنَّ الوضع الحديث للعربية كان سائداً في كلِّ مراحل العربية؟ هذا الزعم غير دقيق لأسباب عديدة منها أنَّ المجتمع العربي في الجاهلية مختلف تماماً مع المجتمعات العربية في العصور التالية، فعرب الجاهلية في وسط وغرب شبه الجزيرة العربية مختلفون في ثقافتهم بالمفهوم الأنثروبولوجي عن العرب في العصور التالية، واحتكاكهم كان قليلاً مقارنة بالعرب في العصور التالية، واللغة كما يقول «سابير» دليل للواقع الاجتماعي»[١٠٢]، فالواقع الاجتماعي المسجل في اللغة يكوّن خصوصية ثقافية لكلِّ ثقافة أو لكلِّ لغة، وهذا ما لم يدركه شفتيل حينما يتصور تاريخ اللغة العربة بهذا الشكل، ففي فهمه هذا تشويه لكل تاريخ العرب، وهذا يرجع لاعتقاد خاطئ، فالواقع اللغوي في الجاهلية يحتمل أنَّه مختلف تماماً عن الفترة التي تلت ظهور الإسلام، فبعد الإسلام حدث للعرب تغير ثقافي اجتماعي- لغوي»[١٠٣]، وكان ظهور الإسلام- على حد قول د. السعيد بدوي- «انقلاباً حضارياً ضخماً في حياة شبه الجزيرة العربية، فقد

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

سعى إلى تغير صورة المجتمع بما فرض من تشريعات جديدة ألغت كثيراً من العادات والتقاليد السائدة»[١٠٤]. هذا الانقلاب ماذا فعلت اللغة العربية تجاهه؟ لقد نجحت في استيعاب المفاجأة، وأعادت تنظيم قوالبها التعبيرية القديمة ووسعت فيها بطريقة مكنتها من التعبير عن المعاني الجديدة، وهذا هو شأن اللغة تحاول دائماً أن تعكس ظرف المجتمع وتحكي قصة حضارته.[١٠٥]

إنَّ ما نريد قوله هو أنَّ اللغة مرتبطة بأهلها، ولم يحدث للعرب في الجاهلية حدث كبير كالإسلام الذي غيَّر حياتهم، ومن ثَمَّ فإنَّ اللغة العربية قبل الإسلام، بخاصة في منطقة الحجاز ونجد (المناطق التي اعتمد عليها النحاة فيما بعد لجمع مادتهم اللغوية) ممثَّلة لحياة العرب في انعزالهم إلى حد كبير، وبعد الإسلام انفتح العرب بدينهم الجديد وأصبحوا أقوياء به، وقد حدث لهم حدث مهمّ، وهو أنَّ العربية أصبحت «وجهاً لوجه أمام حضارات غريبة عليها وألزمها في الوقت نفسه – بصفتها لغة الحكام– أن تعبر عنها وتحيط بها».[١٠٦] فقد خرجت العربية من محيطها الضيق الذي فرضته عليها طبيعة مجتمع شبه الجزيرة العربية آنذاك، ودخلت بعد الفتوحات الإسلامية في مرحلة رحبة، وبعد أن كانت قبل الإسلام لغة عرب وسط شبه الجزيرة العربية أصبحت بعد الإسلام لغة أجناس عدة، وهذا كلُّه من المحتمل أن يكون نتيجته التغيّر اللغوي الذي حوّل العربية إلى طور آخر.[١٠٧]

إنَّ ما قصدت تأكيده هو أنَّ اللغةصورة للمجتمع والمجتمع العربي في الجاهلية مختلف تماماً عن المجتمعات العربية التالية له، ومن هنا فقد احتكت العربية بغيرها من اللغات في العصور الإسلامية، وقد انفتح العرب بفتوحاتهم على عوالم وحضارات كثيرة، ودخل الإسلام عدد كبير من أبناء هذه الحضارات، وأصبحت العربية لغة علم، وترجم إليها علوم وآداب، فالاختلاف حاصل بين عربية الجاهلية وعربية العصور الإسلامية. وكانت نتيجة الفتوحات الإسلامية أن أصبح التفاوت البنيوي بين الفصحى والعامية أكثر وضوحاً[١٠٨] أو كما يقول(Chejne، A)«إنَّ الانقسام اللغوي وجد منذ أن أصبحت العربية لغة أدبية تبعاً للاتساع الإقليمي للإسلام»[١٠٩]، ففي القرن الثامن والتاسع الميلاديين وجدت واحدة من التغيرات المهمة في العربية وهي فقدان الإعراب، والتفاوت بين العامية المعروفة بالمولدة والفصحى أصبح واضحاً في هذه المرحلة، نظام كل من الفصحى والعاميات أصبح

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

مميزاً، وأصبح مفترضا لكلِّ واحدة منها وظيفة خاصة، وأصبحت الفصحى نوعاً أدبياً مكتوباً في المناسبات الرسمية، فى حين أصبح النوع العامي خاصاً بشؤون الحياة.[١١٠]

لكنّني أتفق مع شفتيل حين يقول: «ممكن أن نضيف التأثيرات الأجنبية اللغوية التي وجدت على مر التاريخ والتي نتجت بصورة خاصة عن الفتوحات الإسلامية والاحتكاك بين العربية واللغات الأخرى»[١١١]، ويؤكد ذلك بأمثلة من تنوعات لغوية عربية ظهرت فيها العربية النموذجية (الوسيطة بمفهوم بلاو) مكونة من تراكيب وكلمات وتعبيرات من الفصحى واللهجات العربية، وكذلك كلمات من العبرية والآرامية.[١١٢]

يوجد بالفعل في العصور التي تلت الفتوحات الإسلامية احتكاك بين العربية وغيرها من اللغات، وهذا نتفق فيه مع شفتيل، بل إنَّني أذكر أنَّ تغيراً حدث للعربية على كلِّ المستويات، فمن خلال دلالات حروف الجر نجد أن كثيرًا ممَّا كنَّا نعده تغيراً في العصر الحديث لدلالات حروف الجر وجدناه جاء في اللغة التي كتب بها «ابن اياس» في كتابه: بدائع الزهور في وقائع الدهور، وكذلك وجدنا تسرب عدد من التعبيرات العامية في كتاباته. ولاتفاقنا في هذه المسألة مع «شفتيل» ما يؤكده. أمَّا أن نتصور أنَّ مراحل عصور العربية متماثلة فهذا لا أوافقه فيه الرأي، ولا أوافقه كذلك في تصوره للواقع اللغوي العربي الآن على كونه في ثلاثة مستويات، فمن يقطن في العالم العربي وله دراية لغوية جيدة من المؤكد أنَّه سيرفض تصورات» شفتيل»، لأن مستويات العربية تتعدد وتختلف من قطر إلى آخر، والواقع اللغوي في الجزائر مختلف عن الواقع اللغوي في العراق ومصر وليبيا، وكلُّ قطرٍ له سماته اللغوية التي تحددها ظروفه الاجتماعية واتصاله بلغات أخرى، وهناك مؤثرات تختلف من قطر إلى آخر، منها لغة المستعمر، وعملية التعليم بالعربية في كل قطر، والأميَّة،كلُّ ذلك يجعل الواقع اللغوي في الأقطار العربية مختلفا من قطر لآخر.

إنَّ الواقـع اللغوي في مجتمع القاهرة في سبعينيات القرن الماضي، كما تظهره دراسة د. السعيد بدوي، ليؤكد وجود مستويات خمسة للعربية في هذا المجتمع: فصحى التراث، والفصحى المعاصرة، وعامية المثقفين، وعامية المتنورين، وعامية الأميين، وهو يصف السمات اللغوية لكل من تلك المستويات.[١١٣] وقد يكون

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الوضع قد تغير الآن. ما أريد أن أقوله هو أنّ لكلِّ قطرٍ عربيٍ وضعاً خاصاً به إلى حد كبير،فحينما نقارن بين الواقع اللغوي في المغرب وسوريا، وهما قطران عربيان، فهل ستعزز النتيجة ما يراه شفتيل حين يضع الواقع اللغوي في العالم العربي في سلة واحدة؟

يتضح من تصورات بلاو أنَّه متأثر بما زعمه فيشر في تقسيمه لمراحل العربية، لكنَّنا نجد عند بلاو تقسيمات أخرى مثل: العربية القديمة، والوسيطة، ومنها عربية اليهود، وعربية النصارى؛ والعربية الوسيطة عنده مستويات؛ وهذه كلُّها اجتهادات علمية تحسب له وبخاصة في مجال بكر لا يبحث فيه إلَّا عدد قليل من الدارسين، لكنَّ القضية المعروضة هنا توضح التباين بين الرؤيتين: رؤية تقترب من وجهة نظر العرب القدماء، ورؤية مخالفة لا تعترف بما ذكره العرب من سمات للعربية قد جمعوها من أفواه العرب في القرن الثاني الهجري. ولكي تقترب الفكرة إلى أذهاننا نعرض لما قاله أوينز الذي يرى أنَّ في الإدغام الكبير في قراءة أبي عمرو بن العلاء (حيث تلغى علامة الإعراب فى نهاية الكلمة الأولى من الكلمتين المدغمتين)، دليلا على أنَّ حالة اللغة العربية كانت قائمة على نوع من الإعراب ذي أساس ضعيف، ويُنشئُ عن ذلك- حسب قوله- سؤالاً عن اللغة العربية الأم وما إذا كانت بهذا النوع من الإعراب؟ ويجيب عنه بالنفي[١١٤]. وهو يرى أنَّ نوع العربية غير المعرب هو الأصل[١١٥]، كما يرى فرجسون أنَّ الازدواجية اللغوية في المجتمع العربي تبدو موصولة بمراحل بعيدة مثل معرفتنا بالعربية نفسها[١١٦]. وأظن أنَّ هذه المزاعم يحتاج أصحابها إلى التريث والتعمق فى تاريخ العربية حتى يصلوا إلى الرأي الصحيح والدقيق، فعلى أي مواد لغوية أو تاريخية اعتمد هؤلاء فى أحكامهم؟

يتضح من رؤية أ. شفتيل أنَّها امتداد لرؤية بدأت تأخذ مكانها فى هذا المضمار، وهى متباينة مع رؤية بلاو ومن شايعه، وتختلف كذلك مع الرؤية العربية القديمة لتاريخ اللغة العربية، ورؤية شفتيل هذه قريبة من رؤية لارشيه وأوينز و رتسو، وهذا الأخير يزعم أنَّ النظام اللغوي الموجود فى اللهجات العربية متشابه تنظيمياً مع ما هو موجود فى اللغات السامية القديمة، فى حين أنَّ ما في العربية الفصحى لا أثر له – حسب زعمه- فى اللغات السامية؛ كما يرى رتسو أنَّ افتراض أنَّ النظام الموجود فى العربية القديمة مصدره السامية الأم افتراض مشكوك فيه[١١٧]، وينتهي

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

إلى أنَّه على ضوء اللغات السامية المعقدة كلياً وعلى ضوء الواقع اللغوي الحاضر والدليل المتنامي من الأسرة اللغوية الأفرو- آسيوية ككلٍّ فإنّ افتراض حالة السامية الأم ونظام الفعل المشابه لما هو موجود فى العربية الفصحى غير صحيح، وهذا - حسب رأيه- يحررنا من الفرضيات التي تزعم أنَّ اللهجات العربية الحديثة مشتقة من العربية الفصحى، ويرى أنَّ المحتمل أن تكون اللهجات العربية الحديثة ونوع العربية الفصحى نوعين متوازيين وليسا متعاقبين، وأنَّ واحداً منهما قد مات فى حين أنَّ الأخرى باقية على قيد الحياة(١١٨).

لم تقف رؤية رتسو عند هذا الحد، بل إنه يزعم أنَّ اللغة العربية قد استعملت بتنوعات مختلفة وشاسعة عبر القرون، قبل الإسلام وبعده، ويذكر أنَّ مصطلح «عربي» يدل في القرآن على التنوع اللغوي العالي المتمثِّل في لغة القرآن الكريم، وقد أشار القرآن إلى تنوع آخر- حسب زعمه - سماه «أعجمي» ويدل على الأرجح على اللغة التي نسميها يومياً العربية، لكن هذا التنوع اللغوي مضادٌّ في القرآن لذلك (اللسان العربي المبين) الذي أنزل به القرآن، والتنوع الموصوف بأعجمي-حسب رأيه- هو الأصل للعاميات العربية الحديثة، والذي يحتمل أن يكون قد سُمع في الحجاز حوالي ٦٠٠ ميلادية (١١٩).

وأتصور أنَّ تفسيره بهذا الشكل لمصطلح «أعجمي» في القرآن لا دليل عليه من التفاسير القرآنية أو المعاجم العربية، ولعله من بنات أفكاره. ثم ما الدليل على كون هذا التنوع أصلاً للعاميات العربية المختلفة كثيراً فيما بينها؟ إنَّ هذه الرؤى لتتعارض مع رؤية بلاو و فيشر و فرستيخ(١٢٠)، وقبلهم نولدكه و فوك. لكنَّنا نحتاج إلى بحوث أعمق كي نصل إلى كلمة سواء في تحديد مراحل العربية ثم تحديد تنوعاتها، وهذا لن يتحقق إلَّا من خلال جهود كبيرة للبحث في تاريخ العربية وتاريخ اللغات السامية الشقيقة للعربية. ونحن نقرُّ بأنَّ البحث فى تاريخ اللغة العربية ليس عملاً سهلاً، فهي لغة لها تاريخ طويل تباينت تنوعاتها لوجودها فى مجتمعات متباينة، وبخاصة بعد الإسلام فقد كانت لغة الدين الإسلامي، وأصبحت لغة إمبراطورية واسعة، ولغة علم ومن ثَمَّ لغة حضارة الإسلام، ووصلت إلى بلاد عديدة فاحتكت بكثير من اللغات، فأثرت وتأثرت، وضم المجتمع العربي عدداً من المجتمعات المتباينة ديناً، إذ

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

وجد فيها يهود ونصارى وغيرهم، وكانت لهم تنوعاتهم في استعمال العربية، وهي تنوعات حفظت لهم خصوصيتهم اللغوية، فعلى من يدرس تاريخ العربية أن يتسلح بالمناهج العلمية الحديثة، ومن الواجب عليه التعمق فى تاريخها اللغوي والثقافي، وكذلك في علاقاتها باللغات السامية. ولهذا يبدو هذا المجال من العلم صعباً، فكثير من الفرضيات التي ساقها بعض المستشرقين لا ترقى إلى حد العلم فى شيء، وهناك رؤى ناضجة تستوجب منا الإفادة منها وتطويرها.

الهوامش:

١. انظر حول هذا كتابي: رؤى المستشرقين للعربية الفصحى. قيد النشر.

٢. انظر حول هذا كتابي: الازدواجية اللغوية فى العربية ومقارباتها العربية والاستشراقية. إصدار كرسي أ. د عبد العزيز المانع. جامعة الملك سعود. ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٣. انظر حول هذا مجموعة الدراسات التي قام بها عدد من المستشرقين حول العربية الوسيطة، وقمنا بترجمتها بالاشتراك مع عدد من الباحثين العرب، وإعدادها وتقديمها (قيد النشر إن شاء الله).

٤. جوشوا بلاو (Blau، J) عالم يهودي في اللغات السامية واللغة العربية، له اهتمام كبير بتاريخ اللغة العربية، وبعربية اليهود التي كانت موضوعاً لكتابه الذي نشر في طبعته الأولى عام ١٩٦٥م، وتلاه عدد من البحوث الكثيرة، وله مكانة كبيرة في الدراسات السامية والعربية. وقد ترجمت بعض بحوثه إلى اللغة العربية، ومنها ترجمة د. حمزة المزيني لبحثه: نشأة الازدواجية اللغوية العربية. ونشر ضمن كتاب دراسات في تاريخ اللغة العربية. دار الفيصل الثقافية بالمملكة العربية السعودية (٢٠٠١م). وترجم د. سعيد بحيري بحثه: العربية المولدة المبكرة في نصوص العربية الوسطى. ونشر ضمن كتابه: دراسات في العربية. مكتبة الآداب بالقاهرة (٢٠٠٥م).

5. Blau،J.2003: p.111.

6. Ibid.،p.111.

٧. التصحيح الزائف/ المبالغة فى التصحيح Hypercorrection ظاهرة من السمات

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الموجودةفى العربية الوسيطة؛ذلك أنَّ الكاتب يحاول الكتابة بالفصحى ولكن بدون نجاح، فمثلاً يستخدم تراكيب من الفصحى في غير موضعها الصحيح مثل «فاعلمون» و «لم يخافون».

8. Ibid.، p.111.

٩. ويشير بلاو في نهاية هذا البحث إلى أنَّ هدفه التشديد على أهمية نصوص العربية الوسيطة لفهم تاريخي للهجات العربية المولدة، ولإضافة جسر يسد فجوة من مئات السنين التي تفصل بداية النوع اللغوي المولد عن اللهجات العربية الحديثة، فالعربية المولدة –حسب بلاو– تحتوي على نصوص العربية الوسيطة التي تحمل لنا أحياناً ملامح العربية المولدة لكن بمظهر جديد، فنصوص العربية الوسيطة مهمة كذلك لإعادة بناء بداية العربية المولدة وتاريخها بشكل مميز. انظر: Blau، J. 2003: p.117.

انظر كتابه المنشور في سنة ١٩٦٥م وأُعيد طبعه سنة ١٩٨١م، وهو:

- The Emergence and Linguistic Background of Judeo Arabic، A Study of The Origins of Middle =Arabic.
- وترجمة عنوانه: البداية والخلفية اللغوية لعربية اليهود، دراسة في أصول العربية الوسيطة.

10. Blau،J.1981: p.1.

11. Ibid.، p. 2.

12. Ibid.،p.2.

13. Ibid. ،p. 2.

14. Ibid ، p. 3.

15. Ibid ، p. 3.

١٦. مصطلح العربية الوسيطة (Middle Arabic) له دلالات متباينة عند المستشرقين الباحثين في العربية وتنوعاتها، فهو يأتي عند بلاو في بعض مؤلفاته الأولى وكورينتي على أنَّها مرحلة تاريخية من العربية تقع ما بين العربية القديمة واللهجات العربية المولدة، وهناك من يراها تنوعاً لغوياً عربياً ضمن متصل

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

لغوي (Continuum) يقف على طرفيه تنوعان أساسيان هما التنوع الفصيح والتنوع العامي، وبينهما تأتي تنوعات وسيطة. بمعنى أنَّ العربية الوسيطة مستوى مختلط / مزيج من العربية الفصحى واللهجات العربية. انظر حول هذا بحثي: مفهوم العربية الوسيطة عند المستشرقين الباحثين في تاريخ اللغة العربية. بحث منشور بمجلة جسور، العدد الرابع، يناير ٢٠١٦م.

17. Ibid ، p.4 -5.

18. Ibid ، p. 5.

19. Ibid ، p. 6.

20. Blau،J.1969: p.195.

21. Ibid.،p.195 –196

٢٢. هناك من يرى رؤية مختلفة عن هذه؛ فحسب المستشرق الإسباني فدريكو كورينتي، وجد النحويون العرب في المولدين كبش فداء مناسباً فحمّلوهم مسؤولية التغيرات اللغوية التي طرأت على العربية القديمة، ويرى كورينتي أنَّ هذه التغيرات كان سببها التداخل اللغوي في أثناء تعريب سوريا والعراق قبل الإسلام، وأنَّ هذا ثابت من خلال القصص التي أخذها عن كتاب الأغاني لأبى فرج الأصفهاني والتي تؤكد- حسب اعتقاده- وقوع الأسر العربية العريقة في اللحن. كما يذكر أنَّه إذا كان المولدون قد لحنوا كثيراً في نطقهم للعربية فإنَّ ذلك مرجعه إلى أنَّ اللحن كان منتشراً بين العرب الذين أخذ عنهم المولدون عربيتهم، وهذا يعني أنَّ غير العرب غير مسؤولين عن التطور الذي حدث للعربية بعد الإسلام. انظر بحث كورينتي: Corriente، F.1975: p.59..

23. Blau،J. 1969: p.198.

24. Blau،J.1986: p.36.

25. Ibid.، p. 37.

26. Ibid.، p. 39.

27. Ibid.، p. 40.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

28. Ibid.، p. 41- 41.

29. Ibid.، p. 41.

30. Ibid. ، p. 43.

31. Ibid، J.1977.p.15.

32. Ibid.، p.16.

33. Blau،J.1981-1982:p.223 – 224.

34. Ibid .،p.224.

35. Ibid.،p.231 – 232.

36. Ibid.،p.233.

٣٧. يحاول بلاو في بحث آخر أن يجد أدلةتؤكداختلاف العربية الكلاسيكيةعن عربية ما بعد الكلاسيكية، ويستعين في هذا البحث بعدد من الأدلة التي يأتي بها من عربية اليهود في العصور الوسطى. انظر بحثه::Blau، J.1999.

نشر هذا البحث ضمن مجموعة مقالات لبلاو جمعها فى كتابه:

- Studies in Middle Arabic and its Judaeo – Arabic Variety .
- وترجمته: دراسات في العربية الوسيطة وتنوعها: العربية اليهودية ، ونشر هذا الكتاب سنة ١٩٨٨م.

38. Blau،J.1988 :p.255.

39. Ibid.، p. 255.

40. Ibid.، p. 256.

41. Ibid.، p. 256.

42. Ibid.، p. 257.

43. Ibid.، p. 258.

44. Ibid.، p. 258.

٤٥. تبدو أهمية نصوص العربية الوسيطة بلهجاتها عند بلاو كبيرة ؛ ذلك

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

أنَّـه يحـاول أن يجد من مادتها دلائل على ما يزعم في تقسيمات تاريخ العربية. انظر حول هذا فى بحثه الذي عنوانه: أهمية اللهجات العربية الوسيطة في تاريخ العربية. في كتابه. انظر Blau،J.1988: pp.61-٨٤.

46. Shivtiel،A.1991:P.1437.

٤٧. مستشرق بريطاني متخصص في الدراسات العربية، وله كتابات علمية حول اللغة العربية، ويعمل أستاذاً فى قسم الدراسات العربية والشرق أوسطية بجامعة ليدز بإنجلترا.

48. Shivtiel،A.1991: p.1435.

49. Ibid.، p.1435.

50. Ibid.، p.1436.

51. Ibid. ، p.1435.

52. Ibid. ، p. 1435.

53. Ibid ، p. 1436.

54. Ibid ، p. 1438.

55. Ibid.، p. 1438

56. Ibid.، p.1438.

57. Ibid.،p.1438.

58. Ibid.، p.1438.

59. Ibid.، p.1439.

60. Shivtiel،A.1991: p. 1439.

61. Ibid.،p.1439.

62. Ibid.،p.1439.

63. Ibid.،p.1439.

64. Ibid.،p.1440.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

65. Ibid.، p.1440.

66. Ibid.،p.1441.

67. Ibid ، p.1442.

68. Ibid ، p.1442.

٦٩. انظر كتاب أوينز: Owens،J.2006: p.46.

٧٠. انظر بحث فيشر: المراحل الزمنية للغة العربية الفصحى، ترجمة د. إسماعيل عمايرة ضمن كتابه: بحوث في الاستشراق واللغة، ص ٤٣٢، ٤٣٣.

71. Blau،J.1986:p.35 – 43.

72. Shivtiel،A.1991: p.1440.

٧٣. أندرو فريمان: طبيعة اللغة العربية القديمة وتغيرها إلى العربية الحديثة ومن ثمَّ إلى العربية المعاصرة. ترجمة الدكتور المزيني ضمن دراسات ترجمها ونشرها بعنوان: دراسات في تأريخ اللغة العربية، ص ٤٧٩ – ٤٨٠.

٧٤. فرنر ديم: حول اللغة العربية الفصحى واللهجات العربية واللغة العربية الأم، ص ٢٥.

٧٥. د. العجمي: أبعاد اللغة العربية، ص: ١٥٦ – ١٨٣.

76. Shivtiel، A.1991:p.1435

77. Ibid.،p.1436.

78. Blau،J.1988: p.255.

79. Shivtiel،A.1991: p.1435.

80. Ibid.،p.1435.

٨١. انظر كتابي: رؤى المستشرقين للعربية الفصحى، ص١٨١و١٩٥.

82. Blau،J.1988 p.255.

83. Shivtiel، A.1991:p.1440.

84. Larcher،P.2001:p.589.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

85. Larcher،p.2007:p.258-259.

86. Ibid.،p.260.

٨٧. كيس فرستيخ: النحويون واللغويون وموقف «دوزي» من التراث العربي، ص٤١١.

٨٨. انظر حول هذا د. رمزي بعلبكي: هوية الفصحى ص٣١-٣٢.

89. Blau، J.1986: p.36

90. Shivtiel، A.1991:p.1436.

91. Blau،J.1988:p.256.

92. Ibid.،p.15.

٩٣. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج١، ص ٤٨٩.

94. Hamad،A.1994: p.14.

٩٥. أندرو فريمان: طبيعة اللغة العربية القديمة وتغيرها إلى العربية الوسيطة، ومن ثَمَّ إلى العربية المعاصرة، ص٥٠١.

96. Shivtiel،A،1991،p.1438.

٩٧. انظر معجم د/ رمزي بعلبكي: معجم المصطلحات اللغوية إنجليزي- عربي ص٢٣١.

98. Blau،J.1981:p.27-30.

99. Ibid.،p.1439.

100. Ibid.، p.1436.

101. Sapir، E، 1949،p.160.

١٠٢. انظر كتابي: الازدواجية اللغوية فى العربية ومقارباتها العربية والاستشراقية.

١٠٣. د. السعيد بدوي: مستويات العربية المعاصرة في مصر، ص٢٢.

١٠٤. السابق ص ٢٢.

١٠٥. د. السعيد بدوي: مستويات العربية المعاصرة في مصر، ص ٢٢.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

١٠٦. انظر كتابي: الازدواجية اللغوية فى العربية ومقارباتها العربية والاستشراقية، ص١٢٤.

107. Hamad،A.1994:p.16.

108. Chejne،A.1969:p.165.

109. Hamad،A.1994: p.16.

110. Shivtiel،A.1991:p.1439.

111. Ibid.،p.1439.

١١٢. انظر كتاب د. السعيد بدوى: مستويات العربية المعاصرةفي مصر.

113. Owens،J.2006: p.136.

114. Ibid.،p،136.

115. Ferguson،C.1959: p.327.

116. Retso، J.1994: p.336-337.

117. Ibid.، p.342.

١١٨. وحول هذه الرؤية لتاريخ اللغة العربية انظر بحثي: تصور المستشرق جوناثان أوينز لعلاقة الإدغام الكبير بفقدان علامات الإعراب. بحث منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد ١٢٨، نوفمبر ٢٠١٤م.

119. Retso، J. 2005: p.478

١٢٠. وحول هذا انظر مقال المستشرق الإسباني إجناسيو فراندو:تاريخ اللغة العربية. يستعرض فيه تاريخ العربية فيبدأ بوضعها داخل الساميات، ثم العربية المبكرة أو حسبه العربية الأم (Proto- Arabic) ثم العربية قبل الإسلام، ثم القراءات القرآنية وعربية الشعر الجاهلي، ثم المرحلة الكلاسيكية حيث قعدت العربية، ثم بعد العربية الكلاسيكية تأتي العربية المولدة والازدواجية اللغوية، ثم العربية الوسيطة، ثم بزوغ العربية النموذجية الحديثة، وهذا كان مع نهاية القرن الثامن شرشر الميلادي، واللهجات العربية الحديثة.انظر هذا المقال Ferrando، Igna-cio. 2007: p.261- 268.، وانظر ترجمة هذا المقال لي، وقُبلت للنشر بمجلة علوم اللغة بالقاهرة.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

المصادر والمراجع:

أولاً: العربية.

- بدوي، السعيد محمد ١٩٧٣م: مستويات العربية المعاصرةفي مصر. دار المعارف بالقاهرة.
- بعلبكي، رمزي ١٩٩٠ م: معجم المصطلحات اللغوية، إنجليزي/ عربي .طبعة دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- 2012 ----------م: هوية الفصحى. مقال منشور بمجلة تبيين للدراسات الثقافية والفكرية، العدد الأول، صيف٢٠١٢ م.
- جدامي، عبد المنعم السيد أحمد ٢٠١٣ م: الازدواجية اللغوية في العربية ومقارباتها العربية والاستشراقية. إصدار كرسي الأستاذ الدكتور عبد العزيز المانع. جامعة الملك سعود.
- _____٢٠١٤م: تصور المستشرق جوناثان أوينز لعلاقة الإدغام بفقدان علامات الإعراب. بحث نشر بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد: ١٢٨، نوفمبر ٢٠١٤ م.
- _____ـ٢٠١٦ م: مفهوم العربية الوسيطة عند المستشرقين الباحثين فى تاريخ اللغة العربية. بحث منشور فى مجلة جسور، العدد الرابع، يناير٢٠١٦ م.
- _____رؤى المستشرقين للعربية الفصحى على ضوء تحليلات اللغويين العرب القدماء. قيد النشر.
- ابن خلدون، عبد الرحمن ٢٠٠٧ م: تاريخ ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر. طبعة سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور بالقاهرة.
- ديم، فرنر ١٩٨٣م: حول اللغة العربية الفصحى واللهجات العربية واللغة العربية الأم. بحث منشور بمجلة الأبحاث (الجامعة الأمريكية ببيروت)، السنة ٣١، ص ص٢٥- ٣٦.
- العجمي، فالح شبيب ١٩٩٤: أبعاد العربية. الرياض.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

- فراندو، إجناسيو: تاريخ اللغة العربية. ترجمة عبد المنعم السيد أحمد جدامي، وقُبلت الترجمة للنشر بمجلة العلوم اللغوية بالقاهرة.
- فرستيخ، كيس ١٩٨٦ م: النحويون واللغويون وموقف «دوزي» من التراث اللغوي. بحث منشور بكتاب: في المعجمية العربية المعاصرة طبعة دار الغرب الإسلامي بتونس.
- فريمان، أندرو ٢٠٠١ م: طبيعة اللغة العربية القديمة وتغيرها إلى العربية الوسيطة ثم إلى العربية الحديثة. ترجمة د. حمزة المزيني ونشر ضمن كتابه: دراسات في تأريخ اللغة العربية، طبعة دار الفيصل بالرياض.
- فيشر، فولفد ديتريش ١٩٩٦م: المراحل الزمنية للغة العربية الفصحى. ترجمة د. إسماعيل عمايرة، ونشر ضمن كتابه: بحوث في الاستشراق واللغة، طبعة دار البشير– عمان– الأردن.
- ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى ١٩٧٢م: السبعة في القراءات. تحقيق د. شوقي ضيف، طبعة دار المعارف.

ثانياً: الأجنبيــة:

- Blau، J.1969: L' apparition du type linguistique Neo-Arabic، Revue des études islamiques، 37 (1-2): 191- 201.
- ---------- 1977: The Beginnings of Diaglossia: A Study of the Origins of Neo-Arabic، Afro-asiatic Linguistics (4): 175- 202.
- ---------- 1981: The Emergence and Linguistic Background of Judaeo- Arabic، 2nd ed.، Jerusalem.
- ---------- 1981 - 1982: On Some Proto-Neo-Arabic and Early Neo–Arabic Features، Differing from Classical Arabic، in: J .S . A . I ، no. 1: 3 ، pp. 223 – 235.
- ---------- 1986: The Jahiliyya and The Emergence of the

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

Neo-Arabic Lingual Type، J،S.A.I (7): 35- 43.

- ---------- 1988: Classical Arabic، Middle Arabic، Middle Arabic Literary Standard، Neo-Arabic، Judaeo–Arabic and Related Terms، in: Blau، J: Studies in Middle Arabic and its Judaeo– Arabic variety، Jerusalem، pp. 255 – 259.
- ---------- 1990: Classical Arabic Versus Post – Classical Arabic as viewed from the vantage point as Judaeo-Arabic ، inJ.S. A. I، vol.13، pp. 218-224.
- ---------- 2003: The Importance of Middle Arabic for The Understanding of The History of Neo– Arabic، in Lentin، J et Lonnet، A (eds.) 2003: Mélanges David Cohen، Paris، pp.111-7.
- Cheine، A،G.1969: The Arabic Language، Its Role in History، University of Minnesota Press.
- Corriente، F.1975: Marginalia on Arabic Diaglossia and Evidence thereof in The Kitab Al-Aghani، Journal of Semitic Studies، 20: 38- 61.
- Ferguson، C.1959: Diaglossia ، in Word، 15 ، 325- 340.
- Ferrando، I. 2007: History of Arabic، in Versteegh، K: Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol: 2، Brill، Leiden-Boston، pp. 261– 268.
- Fischer، W. 2006: Classical Arabic، in Versteegh، K (ed.): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Volume 1، pp.397-405. Brill: Leiden-London.
- Hamad، A.1994: The Beginning of the Arabic Diaglossia، Al-Lisan Al- Arabi، 38: 10-17.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

- Larcher، P. 2001: Moyen arabe et arabe moyen، Arabica، 48 (4): 509- 78.
- ---------- 2005: Arabe Préislamique- Arabe Coranique- Arabe Classique: Un Continuum، in Ohlig، K.H. (ed.): Die dunklen Anfonge،Verla، Hans Schiler، pp.248- 265.
- Owens، J. 2006: A Linguistic History of Arabic، Oxford University Press.
- Retso، J. 1994: L' l'rab in the Forebears of Modern Arabic Dialects، in Caubet، D. et Vanhove، M.،1994 (eds.): Actes des premieres journées internationals de dialectologie arabe de Paris.
- 2005: Review of Ignacio Ferrando Fruts: Introduccion a la hisoria de la lingua arabe. Nuevas Perspectivas. Zaragoza 2001، in: Collectanea Chistiana Orientalia:2، pp.474-481.
- Sapir، E. 1949: The Status of Linguistics Science، in: Mandelbaum، D (ed.) Selected Writing of Edward Sapir.
- Shivtiel ،A. 1991: The Maze of Arabic، In Kaye، A (ed.): Semitic Studies، Vol: 2، Otto Harrassowitz: Wiesbaden، pp.1435 –1442.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً